لا تتركني أمص دمك

لا تتركني أمص دمك

قصص قصيرة

د. جمال الجزيري

اسم الكتاب: لا تتركني أمص دمك
اسم الكاتب: د. جمال الجزيري
تدقيق لغوي: د. جمال الجزيري
تصميم الغلاف: محمد إبراهيم
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – يناير ٢٠٢٠ م
رقم الإيداع: 2019 / 28867

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

لمسة نهائية

كان يسير وحده في الشارع المؤدي إلى الطريق السريع وكانت الأضواء ساطعة. عندما أحسستُ بالدم يتدفق في شفتيَّ، أخذتُ أتقلب بالقرب منه وأقفز كقرد وأنكش شعري الطويل وأشدُّه أمامه. أصدرتُ أصواتا غريبة علَّه يجري بعيدًا أو يُبعدني عني، لكنه نظر إليَّ بشفقة أو تأفُّفٍ ولم يفزعْ. كان قلبُه حجرًا وأعصابُه حديدًا. حاولتُ أن أسحب نفسي بعيدًا عنه، لكنه نظر إليَّ من جديد. شممتُ رائحة خوف فاترة نابعة منه. استبشرت بخوفه، فربما دفعه للهرب، وإذا هرب سيخلِّصني من عذابٍ سيلاحقني باقي الليل وطوال النهار إلى أن أنسى قليلا عندما يواجهني شخص آخر في الغد.

تحسستُ الأرض بقدمي، وعندما لمستُ حجرا صغيرا، ملتُ والتقطته وأصدرت صوتا زاعقا صاخبا متداخلة طبقاته لكي يجسِّد حوله موسيقى مرعبة. حرصتُ أن ينزل الحجر بالقرب من قدميه، فلا يشج رأسه أو يُسقطه فاقدَ الوعي، فإذا فقدَ وعيَه سيصعِّب مهمة انتزاعِ نفسي من شفاهي. لكنه رفع قدمه كبهلوان يتفادى السقوط في حفرةٍ وهميَّةٍ ولم يبالِ بتخويفي له.

أحسستُ بالشفقة على ذلك الذي يتعمَّد أن يسير على طريق هلاكه إلى منتهاه. وعندما لم أجد استجابةً منه، جريتُ بضعة خطوات لأكون ملاصقا له. ضخَّمتُ صوتي أكثر من المعتاد وقلت له:

- ابتعدْ.

لم يبتعد.

- تجنَّبْ خَطَرِي، أرجوك.

لم يتجنب شيئا.

- سآكلك. سأشرِّد أطفالك.

نظر لي بحسرة وكأنه يقول لي: "ليس لدي أطفال".

- ابتعدْ. سأشرِّد أهلَكَ.

نظر لي مرة أخرى بسخرية كأنه يقول لي: "هم مشرَّدون أصلا".

- سيتقطَّع قلبُ أحبابك.

ردَّ عليَّ لأول مرة:

– المهاجرون لم يتبقَ في قلوبهم شيء. هل تستطيع أن تجتثَّ الذكريات؟

كان في سؤاله نبرة تحدٍ كأنه يدعوني لأن أفعل شيئا لا أقدر عليه. قلتُ له على الفور كي أزرع في قلبه الرهبة مني بلا مقدمات:

- أنا لا أستطيع حتى الآن سوى أن أجتث الأرواح. الذكريات لا شأن لي بها، والمهاجرون هاجروا. أنا هنا، أنا في هذا الشارع الذي اسْتَدْرَجَكَ، أنا في ليل طويل أوله دمٌ وآخره ندمٌ ونهارٌ مليءٌ بذكريات الدم والندم، فلا أستطيع أن أخلِّص نفسي من ذكريات أسناني، ولا أستطيع أن أوقف أسناني عن طَعم اللحم بدمك الحار.

ووجدتُه يربِّت على كتفي. أحسستُ في حركة يده تفهُّمًا ومواساةً وثقةً لا حدودَ لها. استجمعتُ كل قواي، وأبعدت أسناني عن طريق يده الساقطة من على كتفي. فكَّرتُ أن أردَّ له تفهُّمه بحركةٍ من يدي على كتفه، لكنني خشيتُ أن تقبض يدي على كتفه الآخر وتنغرز أسناني في رقبته لتنتزع حياته بنشوة كأن الإحساس بالنشوة تقدَّمَ على غرز الأسنان، تقدَّمَ على القبضة المُهْلِكَة، ليصير مجرَّدَ أثرٍ لاحقٍ أو مجرَّدَ إجراءٍ روتينيٍّ للمسةٍ نهائيَّةٍ لعملية تمَّتْ بالفعل.

عندما بدأتْ أطرافي تشعر ببوادر النشوة، فكَّرتُ سريعا في طريقة أجعل بها هذا الإنسان الحجري يبتعد عن طريقي، طريقة يعفيني بها من الندم، من الذكريات الدموية، من تاريخ أسود يطاردني في الفواصل بين الإحساسِ برغبة شفتيَّ ولساني بالدم الحار والإحساسِ به في ليلة تالية. تمنَّيتُ أن أكون في فيلم مصَّاصِي دماءٍ، وأن يطول الشارع إلى أن تشرق الشمسُ فأحترق أو

أختفي. لكن الشمس لا تعاديني، ولا أعاديها، وليس لي خيالُ تلك الأفلام. وأي فيلم يطول إلى هذا الحد؟! يبدو أن ذلك الكائن هو الذي كان يتعقبني، ولستُ أنا الذي أتعقبه. يتلكأ كأنه يستمتع بلهفة أسناني على أن تنغرز في رقبته؛ يتدرَّج على مهل في عرض نفسه لتفتتن أسناني به.

كان أرَقِي قبل أن أخرج للشارع لا حدَّ له. نظرةُ أمي المشفقة وهي تفتح باب غرفتي لتنظر إليَّ وهي تعرف أنني لن أنطق بكلمة واحدة تروي لهفتها لسماع صوتي – كانت هذه النظرة تؤجج ألم ذاكرتي وذاكرة ألمي. تمنيتُ أن أسمع صوتي داخل البيت حتى أُسمِعَه لها، لكنه كان يخذلني دائما. وكانت ذاكرتي تُوقَفُ بعنادٍ أليمٍ عند سيارةِ ميكروباص منذ قرابة ثلاثين عاما وعند صراخِ تلميذ انحصر كل كلامه في أصوات لا معنى لها فيما بعد. لا يُخرج لساني صوتا مفهومًا إلا عندما أكون وجهًا لوجه مع شخص في شارع مهجور بالليل، ولا تتجسَّد كلماته عذوبةً إلا عندما تودِّع الشخص الهارب من أمام أسناني.

إنسان بلا أطفال، بلا زوجة، وأهله متفرقون وأحباؤه مهاجرون، ما الذي يمكن أن يجعله يتحرَّك؟ أحسستُ بأنه لن يتحرك أبدًا أو يبتعد عن طريق هلاكه وطريق عذابي، وكأنه يتعمَّد أن يقطِّر الألم المُرَّ في قلبي ورأسي على مهله، ولذا لم أسأله عن اسمه، فإن قتلته اليوم يكفيني إحساسي بتعذيب

روحه المُفَارِقَةِ لي. لن أُضَاعِفَ حجمَ العذاب بمعرفة اسمه، فسيكون اسمُه بديلا عنه، حاضرًا في أذني ليل نهار.

لم أسأل من قبل أحدًا عن اسمه إلا بعدما كنت أتيقَّنُ من أنه ابتعد عنِّي بما يكفي لأن أراه في طريقه إلى الهرب، أراه في حدود الأمان. كل تلك الأسماء تخفف عني ولو قليلا من الذكريات التي تطاردني، من إحساسي بوطأة نَفَسِي الضائع وأمنياتي المستحيلة.

كيف يمكنني أن أسير في يوم من الأيام في شارع هكذا مع إنسان لا تجمعني به سوى المشاعر المسالمة والأحاسيس الدافئة التي تخلو من طعم الدم؟ أثقل من كل تلك المجرات أنا! لو فقد هذا الشخص كل عزيز، لن يساوي كل حزنه ذرةً من ندمٍ، أو قطرةَ برودةٍ تَعْقُبُ الإحساسَ بحرارة الدم، أو ذرة خواءٍ تضاعف الإحساسَ بالضياع.

كانت ذاكرتي تبدو كأنها توقَّفَتْ ولم تعد تتذكَّرُ شيئا قبل ذكريات الدم الحار وإحساسي بالندم. ما الذي أوصلني إلى هذه الحال؟ ما الذي دفعني لذلك؟ لست أدري، وعدمُ معرفتي ألمٌ يُضَافُ إلى ألمي، وإحساسي بالجهل يُغويني كلَّ يومٍ بمحاولة مَزْمَزَةِ الدَّمِ الحار لأعرف ما الذي يجذبني إليه، أو إن تعمَّقْتُ في الإحساس به ربما أستطيع أن أحسَّ بنقيضه فتكتمل معرفتي وأستطيع أن أفتح حاجز الذاكرة ليرجع بي إلى ما دفعني. فإن تمكَّنتُ من أن

أتوصَّلَ إلى طريقة لأوقف بها نفسي، ربما استطعتُ أن أتوقف. لكن نفسي لا تريد أن تتوقف، كأنها تتآمر على ذاكرتي أو رَشَتْها وجعلتها تتوقف عند هذا الحد.

خمَّنتُ أن يكون تفكيري الطويل في الموضوع قد أزاد المسافة بيننا. لكنني وجدتُه بجانبي نسير على الطريق كأننا نتجه إلى جهة نعلمها سويًّا. كانت خطواتي تدفعني. كنت أريد أن أسحبها، لكنها لم تترك لي فرصة، وكانت تسوقني كسائق ميكروباص يستفرد بتلميذ عائد إلى بيته من المدرسة، لا ينزله عند بيته، بل يغلق أبواب السيارة ويسير دون أن يبالي بصراخه ولا يتوقف إلا على طريق مهجورة ليخلع بنطاله ويغرز سكِّينًا أو أسنانًا في أسفل ظهره ليتدفَّقَ الدم حارًّا كلسعاتِ عصا مدرِّسٍ.

عندما وجدت نفسي ما زلتُ بجواره، قلتُ له:

- انظرْ يا...

وكاد يقول لي اسمه، لكنني وضعت يدي على فمه مانعًا إيَّاه من الكلام:

- لا أريد أن أعرف اسمك إلا إذا رأيتُك تجري أمامي هاربًا.

قال لي بكل برود:

- ولماذا أهرب؟

لم أجد أمامي إلا الحقيقة العارية أصدمه بها كي يسارع بالهرب وأتخلَّص من عذابي له وعذابي منه:

- أنا مصَّاص دماء.

أخذ يضحك بهستيرية غريبة، ثم أحسستُ في صوته نشيجًا كأنه يريد أن يبكي أو ينفجر، ثم قال:

- لم يُتْرَكْ لنا دمٌ كي يمصَّه أحد.

لا أدري لماذا أُصِرُّ على عدم المساس به. أخذ وقتًا أكثر مما يجب. لم يرهقني أحد من قبل هكذا. لو يحس بعذابي، بالمجهود الجبار الذي أبذله لكي أمنع أسناني من أن تفتك برقبته، لكان أشفق عليَّ. لكنه ظل على عناده، فأعدتُ عليه كلامي ولكن بطريقة أخرى:

- حتى لو لم يتبقَ لديك دماء، ستنغرز أسناني في رقبتك ويمتص لساني ما تبقى أو أي شيء حلَّ محل الدماء. أرجوك أرجوك أرجوك أرجوك ابتعد.

ولكنه قال:

- جاءت منك يا جامع.

استغربتُ كلامه ونَفَيْتُ على الفور ما يخاطبني به:

- لستُ بجامع.

ضحكَ عاليًا، وقال:

- يبدو أنك ستأخذ فيَّ ثوابًا. أنا لا أؤمن بالانتحار. ولكن لم يتركوا شيئًا لأبنيه أو أرضًا لأزرعها أو صوتًا لأستثمره.

لم أشعر من قبل بأنَّني أؤدي واجبًا لأحد أو أنَّ عذابي مهمةٌ عظيمةٌ يمكن أن تخدم أحدًا، ولا أستطيع أن أخمِّن: هل ما سيحدث بعد ذلك سيُزيد عذابي وألمي أم لا؟ أن أجتثَّ حياةً خدمةً لأحدٍ! كنت طوال تلك السنوات أخدم نفسي، أخدم إحساسًا بالنشوة الفوَّارة يسبق اندفاع الدم، ليس أكثر. لكن هل إن غيَّرتُ الهدفَ من وراء ذلك سيتغيَّر الإحساسُ؟ احتمالٌ واردٌ. يمكن أن يتغيَّر إحساسي بالنشوة ويمكن أن يزداد عذابي وندمي، فقلتُ له:

- انظرْ يا أيها العنيد الذي لا أريد أن أعرف اسمه. أنا لا أساعد أحدًا على الانتحار. أريدك أن تساعدني على أن أبتعد عن قتلك، لا أن أساعدك لكي تنتحر. انظرْ. ها هي يدي. سأريك كيف يتدفق الدم حارًّا. إن أكلتُ يدي هذه، أرجوك ابتعدْ.

لم أستطع أن أصل إلى رقبتي. غرزتُ أنيابي في إصبع يدي. لم أحس بطعم الدم ولم أحس بأية نشوة. غرزت أنيابي أكثر. لم يتغير شيء. انتقلتُ إلى كفِّي وغرزتُ أنيابي حتى أحسستُ بألم كنتُ أدرك أنني أحسستُ به من قبل، لكنَّ ذاكرتي كانت تتآمر على استرجاعه.

عندما وجدَني أنتقلُ إلى باقي يدي، بحث حوله سريعًا وأمسك بحجر في غمضةِ عينٍ وقذف به وجهي. أحسستُ بأنه يضع لمسة نهائية تنزع الموت من أسناني. كان آخر شيء شعرتُ به أنَّ الألم شديد، وأنَّ الدم لا طعم له، وأنَّ أسناني تتكسَّر؛ فأحسستُ بفرح وليد وأنا أترنَّح ويسارع جسمي إلى السقوط على الأرض.

١٥ ديسمبر ٢٠١٠

التَّطَهُّرُ بالرَّجْمِ

حتى الشوق هاجرَ عن قلبي، وتركني وحيدًا أعرجَ النبضِ، لا أستطيع أن أتراقصَ طربًا لنورٍ أبتغيه يظهر في مُخَيِّلَتِي، أو أتذكَّر مشهدًا حميمًا وارثْه السنواتُ. أنا الآن بلا حسٍّ. لا أفرح بشيء، ولا أحزن لشيء. وعندما أنظر حولي في كل هذا السراب، لا أرى إلا أيامًا تمضي في مَلَلٍ، وأيامًا تجيء ببلاهة، كَطَلَلٍ قديم لا يتركُ لصوصُ الذاكرةِ شيئًا يَدُلُّكَ عليه، أو يبعث في قلبك إحساسًا به.

أصحو من نومي، أجد صورة نفس الشخص القديم تطالبني بأن أرشِّحه رئيسًا على هذا الخراب، وأنا لم أرَه، وإن كنت سمعتُ صوته يومًا وهو يحثُّ اللصوصَ على نهبِ كُلِّ ما تراكَمَ في ذاكرتي ودَفْنِه مع النفايات الذرية الزائرة في قاع النهر. وعندما شربتُ من الترعة التي كانت تصل إلى هنا، لم أعد أتذكَّر إلا ما تراه عيني الآن: صحراء مترامية كأنها الزمان اللانهائي، وصوتَ نحيبِ ريحٍ خافتًا لا يلفت انتباها ولا يجذب أحدًا ليستطلعَ الفجيعة.

ما هذا الذي بدأ يتسرَّب إلى رأسي؟ أحسُّ بخَدَرٍ خفيفٍ كأنني أصحو من نومٍ لم يكتملْ على صوتِ منبِّهٍ يُلْفِتُ انتباهي إلى شيءٍ ما. أحسُّ برغبةٍ مفاجِئَةٍ في التعرِّي. أخلعُ ما تبقَّى عليَّ من أَسْمَالٍ وأستحلب قطراتِ ماءٍ من هذا النَّبع الهَيِّنِ وسط الصخور.

أرفع يدي وأضع كفِّي متعامدًا على جبيني حتى أستطلع المكان، فربما رأيتُ أحدًا قادمًا. ستكون مفاجأةً رائعةً إن ظَهَر أحدٌ في هذا الامتداد الصحراوي الشاسع. لا أحد. من أين أتى هذا الإحساس إذن؟ أنا متأكِّدٌ تمامًا من قوَّتِه التي تتزايد داخلي. أنظرُ إلى نفس الصورة القديمة التي لا أرى مَنْ يجدِّد ألوانها كل حينٍ. أبصق عليها بكل ما أستطيع أن أجمِّعه من لعاب أعرف أنني لن أتمكَّن من تجميعه بسهولة إلا بمزيد من التمرين.

تبدأ الصور في التوافد على ذاكرتي وكأنني وُلِدْتُ الآن فقط. لا أعرف كم من السنوات مرَّتْ وأنا هنا بلا ذاكرة، لكن تصحُّرَ كلِّ شيءٍ حولي يقول بأنها فترة طويلة لا بدَّ. كان كل شيء أخضرَ اللون، وإن كانت خضرتُه داكنةً بعض الشيء في بعض المواضع. وكان النهر يشق هذه الصحراء.

ها أنا أتذكَّر. لم تكن صحراء أبدًا. كان كل أنواع البشر يسكنون هنا. وكانت الأصوات كثيرة ومتآلفة برغم اختلافها. وكنت أكتب العرائض والشكاوى للمظلومين وذوي الحاجة.

من الذي مزَّق أوراقي؟ لا أتذكَّر على وجه اليقين. لكنني أذكر أن أناسًا يرتدون نفس الزي انهالوا عليَّ فجأة كقطَّاع الطرق، وسرعان ما تغيَّر المنظر بأكمله، وتحوَّلت الخضرة إلى نقمة. بدأت الأشجار تأكل بعضها البعض، وتحوَّلت مياه النهر بنفاياتها الذرية وموادها المسرطنة إلى ديدان بدأت تكبر وتكبر إلى أن صارت وحوشًا كاسرة تأكل البَشَرَ والأشجارَ والجِّيَفَ.

أذكَّرُ أنَّني هربتُ إلى الجبل الذي كان قبل هذا المنظر أشجارًا سامقة، لكنَّ الجذورَ والأغصانَ تحوَّلتْ إلى صخورٍ نَهِمَةٍ سُرعان ما كبرتْ وعلتْ وصارتْ جبالًا متنافرةً. أذكر أنني هربتُ، وأذكر أيضا أنني لُمْتُ نفسي. كنتُ أرى المَنْيَ النازف في ليالي الرغبة الوحيدة يتحوَّل إلى كائنات لا ملامح لها، كائنات تظل تؤرقني طوال النهار ولا تنحسر إلا عندما يهبط الليل وتشتد الوحشة وأظل أبكي الحنين. لكنني لم أكن أعرف لأي شيء أحنُّ.

اختلط الحنين عندي بالرغبة في الخروج من هذه الوحشة. لكن الأصباغ الجديدة المسكوبة على الصورة المعلقة على الجبل، التي تدعو الخواء لأن ينتخبها، كانت تلتصق بفم الحنين فينزف دمًا بداخله وداخلي. وكان حنيني أشبه بالسَّراب، فعندما كان يشتدُّ كنتُ أرى أشجارًا هنا وهناك في الصحراء حولي، وكنت أرى وجوهًا ضبابيَّةً تبزغ فجأةً أمامَ عينيَّ، لكنها كانت تختفي أيضًا لتُرجعَني إلى الصمتِ المُطْبِقِ وعواءِ الرياح.

ريح تعوي في أذني الآن. لا أسمع أي صوت في هذه الصحراء. فقط صوتٌ في أذني كأنه يكشط ما تراكَمَ عليها. تهتزُّ رأسي فجأة وينتفضُ جسمي. هل كان عليَّ أن أنتظر كل هذه السنوات في تأمُّلٍ لا أذكر له موضوعًا محدَّدًا حتى تعود لي ذاكرتي وتطنَّ أذني بأصوات تدبُّ على مهلٍ في كياني كله؟ لكنني فرحان جدًّا. لا أدرى لماذا. كأن تشعر بمَصْدَرِ سعادةٍ لا تدركه، لكنه موجود، يمارس مفعوله معك أو عليك، يقول لك:

- أنا هنا، أنت أيضا ستكون هنا ما دمتُ معك. لا تخفْ. فقط واصلِ الإنصاتَ، استشعرِ الدفءَ.

أهلا بكَ وبي. أشعر فعلا بك وبحضورك الذي يتدرَّجُ في رأسي. نعم. نعم. لا بأس الآن. فلنفترض أنَّ كلَّ تلك السنوات التي لا أدري عددَها ذهبتْ هباءً. لا يهمُّ. المهمُّ أنني بدأتُ أشعر بي. بدأتْ ذاكرتي تحضر تدريجيًّا. لا تهمُّ أوراقي الممزَّقَة الآن. أدركُ في هذا الوقت أنني باستطاعتي أن أكتبَ آلافَ الأوراقِ، وأن أحيا ما يُعادل ملايين الأوراق. لا بأس إذن. مرحبًا بنا جميعًا. ما هذا الطوب الذي يتسابق إلى يدي في هذه الصحراء؟ إنه أمرٌ غريبٌ حقًّا. وما الغرابة في ذلك؟ إن كنتُ بدأتُ أتذكَّر كلَّ شيء، فلا غرابة إذن أن أجد طوبًا وسط هذه الصخور. تمهَّلْ يا رجل! عُدْ إلى رُشْدِكَ! اقتنصِ الدهشةَ وتمتَّعْ بها!

أذكرُ أن اللصوص الذين كانوا يعلِّقون هذه الصورة في كل مكان كانوا ينهبون كلَّ شيء بينما كان الناس ينبهرون بالأضواء الفسفورية التي تحيط بالصورة. لكنني اعتبرتُ ذلك شيئًا عاديًّا. ومن ساعتها صارتْ كل الأشياء عادية. ولم استغربْ ساعةَ سطا اللصوص أنفسهم على الأضواء نفسها لاحقًا. ومنذ ذلك الوقت، لم أستمتع بشيء قط. لا بدَّ أنَّ الاعتيادَ آفةُ الذاكرةِ والقلبِ والعقلِ. ربما كان عواءُ الرياح صراخًا في وجهي. ربما كنتُ أعتبرُه عواءً عاديًّا ولم ألتفتْ لمعناه. نعم سأقتنصُ الدهشة في كلِّ شيءٍ. لن أنظر إلى أيِّ جديدٍ على أنه عاديٌّ مرَّةً أخرى. تعالَ أيها الطوب! أنا مشتاق إليك. ارتمِ في حضن يدي كما تشاء! أنت دهشتي، وسأكون دهشتَكَ بإذن الله.

أهلا. أشعر بالحضور الطاغي. تزداد قشعريرة جسمي. أنتفضُ. أهتزُّ. لا أحتملُ كلَّ هذا. أشعر الآن بأنني طفل صغير في حضنٍ لا أستطيع أن أبلغ مداه. أنا الآن أصغر منه بكثير وأكبر من أي شيء في هذا الامتداد. أهلا بكم أنتم أيضا. يندفع الطوب إلى أياديكم مثلي! جميل. جميل. منظر أكثر من رائع حقًّا. أبتسمُ لرغبة تنبت في صحراء قلبي. هيلا هوب. توكَّلنا على الله. آخذُ الطوبَ بقوَّةٍ. تتجه يدي إلى ذلك الوجه القديم. ما أبشعه! كيف كان الناس ينظرون مبهورين إليه ويتركون اللصوص يسرقون كل شيء؟ خذْ هذه!

الرجمة تُنْبِتُ رغبةً أكبرَ، والرغبةُ تُوقِدُ الرَّجمَ. يمتلئ قلبي بالرغبات. لكلِّ فعلٍ ردُّ فعلٍ، ما أجملها من مقولة! يملأ الرجمُ قلبي وذاكرتي بأشياءٍ تُدهشني، لا أستطيع أن أصِفَها الآن. ربما بعد أن أتأملها لاحقًا أستطيع أن أتوصَّلَ إلى كَنْهِهَا أو ملامِحِها.

تتفتَّحُ الخضرةُ حولي. تندهش ذاكرتي من حضورها أمام نفسها بكامل تألُّقِها وعنفوانِها. تتلوَّن الصورُ القديمةُ، وتبرز صورٌ جديدةٌ كأنها أخذتْ من كلِّ نوعٍ في ذاكرتي زوجينِ. ليستِ الخضرة وحدها هي التي تعود، فالنهر رجع أيضا، لكنه نهر كالبحر، جميل أنني أحسُّ به، والأجمل أنه يمتد أمامي كالحياة، هكذا الدهشة، هكذا السفن، سفينةٌ ليستْ حتى كمثل السفنِ التي في الأحلام، ما هذا؟ أأنا أرقص الآن؟ أراقص نفسي وأراقص الوجوه التي تستوي على وجه الماء كالسفن! شيء مدهش أن يذهب العَرَجُ هكذا! هيا يا رفاقي! السفينة تنادينا. توكَّلنا على الله.

٢٧-٢٩ مارس ٢٠١٠

على بالي

يا له من يوم ملعون! أبصقُ عليه وأعلِّقه من طرفيه على المسمارين الكبيرين اللذينِ أثبَّتُهما على الباب، رافعًا يديه. أخلع بجانبه قدميَّ المتورمتين وسَحْنَتِي العابسة التي لم تكن هكذا في الصباح، ولكنها عبستْ تدريجيًّا طوالَ ذلك اليوم الذي يبدو بعيدًا لدرجة أنه يبتسم في وجهي ويتحدَّثُ عنِّي كأنَّه يتحدَّثُ عن شخصٍ غيري من بلدٍ ليست بلدي. أرميهما تحت الجسد المعلَّق على الحائط، ثم أعتدل وأرفع رأسي وأدير المفتاح في الباب بهدوء.

تتحسس عيناي وجهي في المرآة. أشعر بأنني في حاجة إلى حمَّامٍ صديقٍ، فأخلع ملابسي في هدوء وتمعُّنٍ كأنني أمارس طقسًا يوميًّا بكلِّ تجلِّياتِه وبكلِّ حضورِه وبكلِّ ما يوحي به من غياب.

أتركُ لمساتِ الماء الحانيةَ والدافئةَ والساخنةَ تُزِيلُ ما تجهَّم على كياني من ترابٍ وشمسٍ، ومن عَرَقِ كلِّ الذين قابلتُهم في الشارع اليوم وفي الأتوبيس وفي المترو، وفي محطات الانتظار التي لا تنتهي، وكلٌّ يأخذ منكَ ثَمَنَ انتظارِكَ.

أمسحُ بالمنشفة ذاكرةَ ذلك اليوم الطويل الذي يتكرَّر أبدَ الآبدين كأنني كُرَةٌ لاهيةٌ يلهو بها الباسم الأكبر، أو أنني تمثالٌ يصحو كلَّ دقيقةٍ لكي يُسقطه ثم يعود إلى هَوْهِ المتوطِّن كفيروس الكبد الوبائي، وإلى منتجعاته التي لا تنتهي، ودورانه اللانهائي على المستشفيات الألمانية علَّها تطيل عُمره يومًا آخرَ فيسقطني فيه من جديدٍ آلافَ المرَّاتِ.

أتأمَّلُ وجهي الحليقَ وملابسي في مرآه الحَمَّامِ التي أمسحُها بمنديلٍ ورقيٍّ كي أُبعدَ عنها أثرَ غُبار التِّمثالِ الساقطِ ليلَ نهار، ثم أشطبُ بنفس المنديل الورقي أثرَ صورتي من المرآة، وأخرجُ تاركًا الشبشب عند باب الحمَّام بعد أن أمسح من عليه بصماتِ قدميَّ بمنديلٍ ورقيٍّ آخرَ وورقةٍ جريدةٍ بها صورةٌ باسمةٌ لذلك الذي يلهو بي.

أضعُ قطعةَ فحمٍ على عينِ البوتاجاز وقليلًا من الماء في البَرَّادِ على عَينٍ أخرى، ثم أُسَخِّنُ ما تبقَّى من فُولِ الصباح على العين الثالثة. أجد أن الرغيف لا يجد له مكانًا، فأزيحُ البرَّاد قليلًا من على العين الثانية، وأسخِّن الرغيف على مهلٍ حتى تنبعث فيه الحرارةُ ويعود للحياة، فيتلذّذ به فمي.

لا بدَّ أن أُضِيفَ لمسةً لافتةً على هذا الطبق اليوميِّ. شريحتان من المخلَّل تكفيان. تتأفف اللقمةُ عندما أضعُها على سُلَّمِ جَوفي، وكأنها مَلَّتْ منِّي أبدَ الآبدين، أو أنَّ الفولَ يريدُ أن يخونني من كثرة الاعتياد، فأسكبُ عليها

وعليه رشفةَ شايٍ، تقليدًا لأسلوبِ زوجةٍ كنتُ قد تزوَّجْتُها في رأسي ذاتَ مساءٍ وهي تفترش الأرض وتبدأ في الأكل، وعندما ترفض اللقمةُ أن تسلكَ سكَّة جوفِها كأنها غير راضية تزدردُ هي الشاي ليحلو الأكل أو ينبلع.

أملا زجاجة الشيشة من مائها المخصوص في ثلاجة تخطرُ على بالي، وأضبط مستوى الماء في الزجاجة، ثم أجلس على الكرسي في غرفتي الوحيدة، واضعًا قطعة الفحم أمامي كأنها مثيرٌ أو مُنَبِّهٌ لوجود الحرارة والدفء في هذا العالم. أضع طبقة من المُعَسَّلِ في الحَجَرِ، ثم أسنُّ أظافري وأنبش في جسد تلك القطعة اليتيمة لأفتِّتها قطعًا لا تكاد تُرى، وأنثرها هنا وهناك على سطح طبقة المعسَّل. أخشى أن يكتشفها مستثمرٌ أو رجلُ أعمالٍ فيجيء ليختطفَها، فأخفيها بطبقة مُعَسَّلٍ أخرى وأضع قطعًا صغيرة من الفحم فوق كل هذه المأدبة.

أتنفس نفسًا عميقًا وأُقَبِّلُ المَبْسَمَ قُبلةَ ترحيبٍ وألصقه بفمي وأستدرجه لمساحتي الحميمة إلى أن أتمكَّنَ منه. تبدأ خيوط رأسي في الانفكاك عندما يتسلل الدخان كسحابة صيف ممطرة إلى سماء كادت تحترق، فأنهض لأُمْطِرَ سخطي وغضبي. أمسك بالعصا وأصلب كلَّ مَنْ علَّقتُهم على بابي دون أن

أتهاون مع أحد منهم. ألسع كلًّا منهم بضربة أو ضربتينِ، ثم أعود لأسحب الدخان وأخرج لأفرِّغه على أجسادهم.

عندما تتورَّم أجسادهم وتتعب يدي، أصرخ في وجوههم مُطَمْئِنًا:

- سأعفو عنكم طوال الليل.

ثم أدخل إلى غرفتي. أتشمَّم ما تبقَّى من دخان وأفتح الشبَّاك لتُطَيِّرَ الريحُ آثارَ دخانٍ كان حميمًا. أفتح ديوانًا شعريًّا مفهومًا وأقرأ قصيدةً أو قصيدتينِ، وإذا أعجبني سطرٌ أكرِّرُه إلى أن أبدأ في التغنِّي به بالرغم من أنه يخلو من الموسيقى التي يفرضها الباسمون كصورته وكصورة رجاله الذين يبتسمون على الدوام وهم يتكلمون عن أرضي كأنهم يتحدثون عن أرض أخرى. أُعجب به لخلوه من هذه الموسيقى. تنضبط الكلمات في رأسي بلا وزن، فتعلو رأسي كثيرًا. ساعتَها أرتدي ملابس الخروج.

أنظر متجهِّمًا إلى الواقفين على بابي، ثم أنزل السلم مردِّدًا بيت الشعر الذي أعجبني، وأجدني أؤلف قصيدة تعلو في رأسي مع كل درجة سلم أهبطها في طريقي إلى الشارع. وعندما يراني الشارع، أرفع رأسي وأعدل ياقتي وأطلق النار على أوَّلِ شخصٍ باسمٍ منهم يخطر على بالي.

٢٩ مارس ٢٠١٠

كيدُ الرجال

بالرغم من إرهاقي الشديد بسبب كثرة التنقل بين وسائل المواصلات وازدحام الشوارع، جلستُ على أول مقهى عندما نزلتُ من الأتوبيس بالقرب من البيت. أحسستُ بأن بعض الأبيات النثرية لا تريد أن تكف عن الصخب في رأسي، خاصة وأن أذني التقطت في المواصلات الكثيرَ من الأصوات المتنوعة المفعمة بالحياة والتحمُّل برغم الألم والمعاناة.

سحبتُ نَفَسًا من الشيشة وأتبعتُه برشفة من كوب الشاي الساخن وأخرجتُ ورقة من جيبي، بادئا في الكتابة. سمعتُ صوتًا يسألني عمَّا أكتبُه. رفعتُ وجهي نحوَه. لم أتبيَّن ملامحَه. قلتُ له باستغرابٍ أو استنكارٍ:

- نعم!

ردَّ عليَّ بنبرة حيادية:

- ماذا تكتب؟ أنا من أمن المقهى.

كتمتُ نبرةً ساخرةً ولم أقل له: "لستَ أنت الوحيد الذي تكتب، لكنني لا أكتب التقارير". رددتُ عليه محاولا المرح:

- يعني أمني أنا. ألستُ جالسًا على المقهى؟

قال:

- التزمْ الأدب وإلا أخذتُكَ إلى مكان لا تعرفه.

نظرتُ إليه نظرةً حياديَّةً تمامًا، قائلًا:

- انتهى عصرُ الطوارئ وكلنا نكافح الإرهاب.

أعاد سؤاله كأنه لم يسمعني:

- ماذا تكتب؟

فقلتُ له بكل هدوء:

- بالرغم من أنَّها حريَّةٌ شخصيَّةٌ ولا يحقُّ لك أن تسألَ، سأقول لك إنني أندِّدُ بالإرهاب. هل تستطيع أن تقول شيئًا؟!

مد يده ليسحب الورقة، لكنني طويتُها في يدي على الفور، وقلتُ صارخًا:

- يا ناس، يا جماعة، هذا الرجل يريد أن يجعلني من قوم لوط.

وأخذتُ أتأمل الأيادي التي انهالتْ عليه من كلِّ اتِّجاهٍ، دون أن يستطيعَ أن يتكلَّمَ أو يَفْلِتَ من قبضتِهم.

٢٣ يناير ٢٠١١

أين أنا والياسمين؟

١- لهفة

استأذنتُ بسرعة من صديقتي على برنامج الدردشة:

- معذرة. إخوتي يلحُّون في الضغط على جرس الباب.

عدتُ بعد لحظات، وقلتُ لصديقتي:

- لا أعرف لماذا هم متلهفون على دخول البيت هكذا. مللتُ فيه سنواتي التي تجاوزت الثلاثين. أحلم بالخروج إلى بيت آخر، أي بيت.

يبدو أن صديقتي لم تجد شيئًا تقوله لي، أو على الأقل كانت تتردد في قول كلام تظن أنه سيجرح مشاعري بهجومها على إخوتي، واكتفت بقول:

- ربنا سيعوِّضكِ كثيرا.

واستأذنتْ منِّي لتوقظ ابنتها الكبرى وتعطيها الدواء في موعده. أسرعتُ إلى الباب لأفتح لسارقي البهجة.

٢- حبيسة الخدمة

هل تعتقدين أنَّ أحدًا سيهتمُّ بي بعد أن مات أبي؟ لا إخوتي ولا زوجاتهم، وأمي لا حولَ لها ولا صوتَ. كلهم يريدونني أن أبقى لأخدم أمي وأخدم أطفالهم. إخوتي رفضوا أكثر من عشرين عريسًا حتى قبل أن يَروهُم. الأسبوع الماضي تقدَّم لخطبتي دكتور بالجامعة. رفضه أخي حتى قبل أن يسأل عنه. قال لي:

- أكيد به عيب، وإلا ما الذي يدفع دكتورًا لأن يترك زميلاته وطالباته الشابات ويأتي لخطبة واحدة حاصلة على معهد عالٍ مثلكِ؟

لم أستطع أن أقول شيئًا. قلتُ لنفسي:

- أخي الأكبر وربما كانت زلة لسان.

لكنه أكد:

- ما الذي يدفعه لذلك؟

هممتُ أن أرفع ابنه الجالس في حِجْري وأزيحه بعيدًا، لكن ما ذنبه؟ يحبُّني أكثر من أمه وأبيه. وما الذي يمكن أن أفعله؟ أَبْتَلِعُ كلامَهم في صمتٍ ومرارةٍ. لا يا صديقتي. لا يصحُّ. كيف يمكنني أن أقول لهم ذلك. سيعتبرونني قليلة أدب إذا قلتُ لهم إن لي الحق في الزواج ولا يمكنني أن

أظل حبيسة خدمتهم هكذا. أنا شخصيًّا لا أرى في ذلك قِلَّةَ أدبٍ. لكنهم سيروننني كذ... أغلقي المسنجر بسرعة. ها هي دقاتهم على الباب تدق كنذير شؤم. أغلقيه تمامًا ونكمل كلامَنا عندما يخرجون غدًا.

٣- صهيل

استغفري ربك يا إيمان. فأنتِ لا تطلبين الموت إلا هربًا من الحياة مع الجالسين أمامك الآن. يجلسون بكلِّ برودٍ. سيد يدفن رأسه في مِسْبَحَتِه كأنَّ الأمر لا يعنيه تمامًا ولا يقوى على أن يرفع نظره في وجهكِ. وعادل لا يترك عيبًا إلا ويُلصقه بالعريس الذي لم يره. سامي يدفع عجلات كرسيه المتحرك ويدير لكِ ظهره. صحيح من خشوا الفضيحة ماتوا قَهْرًا وخِزْيًا وذُلًا، وأنتِ لستِ أقل من "صهيل": عندما عاندها إخوتُها ورفضوا كل عرسانها هددتْهم بالفضيحة إن لم يزوجوها بالعريس الذي جاء لخطبتها، معلنةً أمامهم أنها ستقبله دون أن تعرفه أو تعرف اسمَه أو شكلَه أو رسمَه أو صفتَه نكايةً بهم، ولرفضهم كل من سبقوه، وتيمُّنا بالخروج من السجن حتى لو تخبَّطتْ خطواتها على بداية طريق الحرية. قولي شيئًا. لا تظلي صامتة

هكذا. في كل مرة تسمعين كلامهم ثم يخرجون معلنين رفضهم للعريس المتقدم. هيا! لماذا تصمتين؟ يا الله! توكلتُ على الله:

- انظروا يا إخوتي، ليستْ وقاحةً أو قلةَ أدبٍ، لكنكم لا تحبون إلا أنفسكم؛ وإن لم أحب نفسي سأموت بلا مقابل. إذا رفضتم هذا العريس سأذهب إلى بيته وأفضحكم أمام القرية كلها. سأقول له إنكم كذَّابون وإنكم لم تستشيروني وإنني أوافق عليه. ومن يقف في طريقي سأقتله.

طبعا لا يجدون كلاما يقولونه. ها هو الذهول يكسوهم ولا يستطيعون أن يتكلموا بكلمة واحدة. ها ها! أين أنا والياسمينُ منذ زمن؟!

١٠ و٢٣ يناير ٢٠١١

اعتصار

ستراودُكَ كوابيسُ لا حصرَ لها، بالليل والنهار ستحاصرُكَ، ستتراءى أمام عينيك، ستعتصر جسدك وتبعث فيه توتُّرات، سينتابك السكوت، سكوت لا مفر منه، لسبب بسيط، لا أحد بجانبك، ستفكر ساعتها في الارتباط بشخص، ستتعجل الزواج، ستدخل على النت، ستحاول إنشاء خطوط دردشة مع كل الأصدقاء، الأصدقاء واحدًا والأصدقاء نصفًا، وستجدُكَ تدور في دوائر متقاطعة، دائرةٌ تدفع بك في دائرةٍ، وأنت لا حول لك، تحاول الخروج من كوابيسك، لكنها لن تدعك تهرب، فأنت هناك، هناك وحدك، لا أحد بجانبك من أبناء بلدك، فقدتَ جلساتِ المقاهي، فقدتَ سندوتشاتِ الفول على أرابسك[1] بجانب المحطة العتيقة، فقدتَ الدردشة الحميمة بالصوت والصورة والهمس والنظرات والأماكن التي يسري فيها الدفء والانتعاش، تشكو همَّكَ، ينصحكَ أصدقاؤكَ بالتريث، فالاستعجال لن يؤدي إلا إلى اقتران مبتور سرعان ما ستتبين مدى نقصه وتشوهه، تجد أن النصائح لا تجدي معك نفعًا، فما يعتصرك يواصل اعتصارَك، وما يجسم على روحك ينهمك في عمله ليدهسَها وينقضَّ عليها،

---

١ أرابسك مقهى بجانب محطة قطار الجيزة.

وعليك أن تتصرَّفَ برسميَّةٍ شديدةٍ، رسميَّة دبلوماسيٍّ بعيدٍ عن وطنه، كلُّ شيء محسوبٌ عليك، كل شيء، حتى الصداقة هناك، وأنت لا حول لك، ستكلِّفُ كل أصدقائك بالبحث لك عن عروس، وسينصحونك بأن ذلك أسلوب لن يحقق لك الراحة، فكيف لك الاقتران بهذه السرعة، تريد حلًّا، وعليك أن تتحمَّلَ ما يُلِمُّ بك لأنك تطلب المال، أحاسيسُك ثَمَنُ مالِكَ القادمِ، لن ترى الحياة مكتملة، ولن تتحقق أنت، فتحقُّقُكَ يعني اكتمالَكَ، واكتمالُكَ نقيضُ ما تحس به، أهلا بك في وطنهم، سيراودك شعور حتى بأن اسمك "سيد" فاقدٌ لمعناه، فلا مجال للسيادة هناك، وكيف تكون سيادة مع الألم والاعتصار والفقد والمرارة وكلِّ ما يتسيد على جسدك وروحك، كلنا أنت وأنت كلنا، الجزء مساوٍ لمجموع الأجزاء، وسترى المعادلات مستعصية والمحاولات فاشلة وعليك أن تتكيف، تقول:

- كيف أتكيَّفُ وأنا لا أتبيَّنُ تكيُّفًا؟

وتقول:

- كيف لي بالانسجامِ وأنا في قمَّةِ التَّضَارُبِ؟

ستقول تدفُّقَاتٍ كثيرةً، تدفقات تسكب فيها تقيُّحَاتِ روحِكَ، وما لروحك بالتئام، بشرى لك، أنت ممثل هذه الأمة، أنت خلاصة الألم، أنت نحن، ونحن بعيدون عنك ولن تجدنا بجوارك في أنهار الفضفضة.

كل ما هو مطلوب منك الآن أن تستدعي مهندس الكمبيوتر النذل على الفور لإصلاح برنامج الماسنجر لك، ونحن في انتظار صوتك.

٢٢ نوفمبر ٢٠٠٥

أمام الحصان

رأيتُ رجالًا كثيرين يتجمَّعون في عرض الطريق وعلى جانبها. هدَّأتُ سرعة سيارتي حتى توقَّفتْ تمامًا لأستفسر، فربما كانت ثورةً وعليَّ أن أشارك. فتحتُ زجاج سيارتي وألقيتُ عليهم السلام مستفسرًا. قبل أن يردَّ عليَّ أحدٌ، أشارتْ يدٌ نحوي، فأحاطوا جميعًا بسيارتي.

أحسستُ أنَّ في الأمر خطأً، فأغلقتُ زجاج السيارة على الفور وضغطتُ على زرِّ الأمانِ بحيث لا يمكن لأحدٍ أن يفتحَ الأبوابَ من الخارج. حمدتُ الله أن سيارتي كانت قديمة نوعًا ما وجسمها مصنوع من الحديد قبل أن تقلَّ الموارِدُ أو يطمعَ المُصنِّعون. تناوبتْ يدُ الذي أشار إليَّ عملَها فيما بيني وبين جثة لم أنتبه إلى وجودها من قبل. جال برأسي سريعًا مشهدٌ من فيلم قديم: مئات الرجال يرفعون المشاعل في الليل مردِّدين: "زواج عتريس من فؤادة باطل".

سخرتُ في سرِّي لظنِّي أنَّ الثورة اندلعتْ ولأنني أوقفتُ حركة سيارتي للمشاركة فيها. ذكَّرتْني إشارةُ ذلك الرجل بمنظر العربة التي أمام الحصان وسرعان ما أرجعتْني إلى الجثَّةِ التي أمام السيارة.

كادوا يرفعون سيارتي ويلقون بها في الترعة التي بحذاء الطريق. ضغطت على بوق سيارتي. أخذوا يضربون السيارة بعصيِّهم. خفَّفتُ قدمي من على دوَّاسة البنزين قليلًا. لكنهم كانوا يعاندون الابتعاد. ضغطتُ على الفرامل والبنزين في آن بكلِّ قوتي. وما إن أحدثتْ زمجرةُ السيارةِ اضطرابًا في صفوفهم حتى رفعتُ قدمي من على الفرامل، هاربًا من جريمة لا شأنَ لي بها.

٢٢ ديسمبر ٢٠١٠

مرارة أوراقٍ

المكان: قطارٌ متحرِّكٌ من قطاراتِ الصعيدِ.

الزمان: لا يهم.

رحلة ليلية من رحلات قطار. نعم، فأنا عائد إلى الصعيد من سفر قصير إلى القاهرة لقضاء بعض المصالح ومتابعة الحصول على توقيعات رسمية لتمليكي وبعض أصدقائي وأهلي قطعة أرض نقوم باستصلاحها كي نوسِّعَ موردَ لقمةِ عيشِنا. سيجارةٌ أدخّنها في الفاصل بين عربتين. يقفُ أمامي... ليس مُحَصِّلَ تذاكر. ينظر نحوي نظرات خجولة، كأنه يريد أن يكلّمني في شيء. لا أذكر أني أعرفه. أبتسم له ابتسامة تشجيعٍ كأنني أستحثُّه ليتخلَّص من خجلة ويقولَ ما عنده. سأتركه يروي وأحذفُ أسئلتي:

- أنا سيد. وسعيدٌ أنني أتكلم معك يا بيه. أنا عاملٌ في هذا القطار بتسعين جنيه في الشهر يا بيه. من حقّكَ أن تستغربَ. لستُ أعملُ في سبيل العمل. وهل هذا عمل أصلا؟ هي وسيلة. نعم، وسيلة. غيري فعلَها من قبل وحقَّقَ حلمَه. أناسٌ كثيرون لا يتخيَّرون عن سعادتك يركبون القطارَ. لا بدَّ أن هناكَ أشخاصًا مهمِّين يركبون القطار. نعم، أزمة البنزين والسولار لها فائدتها أحيانًا. من لا يجد بنزينًا لسيارته سيضطر لركوب القطار، وربما

أقابله وأسلّمه أوراقي. نعم. حدثَ ذلك مع زميل لي، حاصلٌ أيضًا على بكالوريوس تجارة. صوَّرَ من شهادته الجامعية وأوراقِه عشرات النُّسَخِ. عندما كان يتوسَّمَ في أحدٍ أهميَّةً أو خيرًا، كان يعطيه أوراقه، فربما وجد له وظيفة. ووجد بالفعل أحدُهم له وظيفةً، ويعمل الآن ببضعة آلاف من الجنيهات. بارك الله له فيها، فهو من دلّني على هذه الوسيلة. لا بدَّ أن هناك فاعلي خيرٍ. لو انعدم الخير ستقوم القيامة. هههههههههههههه والله يا بيه كل انتخابات نذهب ونصوّت. وفي كل مرة يفوز من نصوّت له. ربما كنّا أخطأنا في تصويتنا لَمَنْ قَبْلَه. لا يمكن أن يكونوا كلهم أولاد .... هكذا. هههههههههه يبدو أن التصويت صار إدمانًا. ندرك أنه لن يقدّم لنا شيئًا، ومع ذلك ننزل للتصويت. لا تحسب أن كل البشر هكذا. هناك بشر فيهم الخير ويحبون أن يساعدوا الناس. فقط علينا أن نبحث عنهم. لا يهم إن طال البحث. أصوِّرُ أوراقي مثل زميلي بارك الله له في آلافه، وعندما أتوسَّم في أحدٍ خيرًا، أعطيه نسخةً، فربما استطاع أن يساعدني أو يجد لي عملًا عندَه أو عند أي أحدٍ من أُناس مهمِّين يعرفُهم. من لا يستطيع أن يساعد وهو إنسان فاضل سيبحث عن أحد يستطيع أن يساعد. هكذا حياتنا في هذا القطار. شبكة مواصلات تُوصِلُنا لناس يمكنهم أن يقدموا لنا خدمة سندعو لهم طوال حياتنا على أنهم قدموها لنا.

لا أعرفُ إن كنتُ ابتسمُ أو أدمعُ أو أبتسمُ ابتسامة كلها مرارة. ليس بيدي شيء أقدمه له، ولا أستطيع أن أمنع نفسي من السؤال:

- منذُ متى يا أستاذ سيد تعمل هكذا؟

- منذ خمس سنوات. أثق أنني سأجد أحدهم.

أربتُ على كتفه. لا أعرف إن كان تربيتي مواساةً أم تشجيعًا. أُخْرِجُ بعض النقود من جيبي. أحاول أن أعطيها له. تطفر دمعة من عينيه. أعتذر له. آخذ نسخة من الأوراق، فربما استطعتُ أنا الآخر أن أسأل عن أحد يستطيع أن يساعده. أشدُّ على يديه، داعيًا له، وأعود إلى مقعدٍ أحسُّ بأنه مليء بالأشواكِ.

١٣، ١٩ أكتوبر ٢٠١٤

لغة النعناع

بالرغم من أنني لم أركب الطائرة من قبل وقدمي تدبُّ لأول مرة على أرض هذا البلد، أحسستُ بأنني ما زلتُ في بلدي وأنني على ألفة شديدة بالمكان، ربما لطبيعته الدينية أو الروحانية. وبرغم ألفة المكان، وجدتُ الحنينَ ينمو داخلي نحو بلدي، نحو الشوارع والوجوه، نحو المقاهي والمطاعم، نحو النيل، نحو أرض ما عدت أزورها إلا قليلا....

عندما بحثتُ عن مقهى، اكتشفتُ أن المقاهي – كما أعرفها وأعايشها – ليست متاحة في البلد الجديد. لكن المشروبات يتم تقديمها في أي مكان: في الأسواق التجارية، في المطاعم، في الأكشاك، في أماكن بيع السندوتشات، على الطرق السريعة، في وِرَشِ إصلاح السيارات... قلتُ لنفسي:

- على الأقل أشرب كوب شاي ساخن جدًّا بنعناع كثير قد يعوِّض قدرًا من الرغبة في التدخين على المقهى المُفْتَرَض.

قلتُ للبائع:

- شاي كشري بالنعناع سُكَّر زيادة.
- الكشري في المطاعم المصرية.
- شاي كشري.
- ما معنى شاي كشري؟

- غير مغلي.
- نغلي الماء فقط.
- إذن شاي بالنعناع سكر زيادة.
- أي نعناع؟
- نعناع مصري.
- لا يوجد شيء اسمه نعناع مصري.
- نعم!
- هناك نعناع حساوي ونعناع مغربي.
- هل يمكن أن أراهما؟

نظر إليَّ البائع كأنه ينظر إلى مجنونٍ أو إنسانٍ لا يعرف شيئًا عن العالم. ولولا قلة الزبائن في ذلك الوقت بعد صلاة العصر، ما كان صبرَ أساسًا على كلامي الطويل. كما أنني أحسستُ بأنه يشعر بالملل، ولم يستمع إليّ طول كلامي إلا لرغبته في التغيير، ولو بكلام مجنون كما خمَّنتُ من نظراته نحوي. مدَّ لي نوعين من النعناع: النعناع المصري الذي آلفُه ونعناع آخر رائحته زاعقة جدًّا. أشرتُ بيدي إلى النعناع المألوف وقلتُ له:

– ها هو النعناع المصري.

– هذا نعناع مغربي.

طوال عمري أعرف أنه مصري. كنتُ أزرعه بنفسي تحت شجرة الليمون، وبجانب البيت، وعلى حافة مجرى الماء وبجانب موتور المياه، ثم صرتُ أزرعه في الشرفة بعدما هاجرتُ إلى القاهرة، أو أشتريه من السوق.

أحسستُ بأن اللغة مقرونة بالمكان، مقرونة بمن يستخدمها، مقرونة بمن يتفق معك على الاستعمال الذي تقصده، أحسستُ بأنها حيوانٌ بريٌّ قد تستأنسه وقد يستأنسه غيرك، لكنه يظل هناك في البر أو الغابة بكامل عنفوانه وطبيعته، وحتى إن استأنستَه تظل صورته البرية في نظرِه هي الأصل، وتخيَّلتُ آلافًا من الصفات التي تُلصق بالنعناع، فربما يقول آخر على هذا النعناع ذاته إنه نعناع سوداني أو جزائري أو تونسي أو سوري أو إماراتي أو تركي أو هندي أو صيني، وما إلى ذلك بعدد بلدان العالم، بل بعدد كل بلدة داخل كل بلد.

أعدتُ على العامل طلبي:

- شاي بنعناع مغربي سكر زيادة

والحمد لله أنه لم يسألني عن معنى السكر الزيادة.

قرَّرتُ أن أجرِّب النعناع الآخر في مرة قادمة وأن أحتفظ في جيبي بدفتر صغير أُسجِّلُ فيه ما أعرفه من مسميات وما قد يقابله في هذا البلد الجديد.

٢٢ ديسمبر ٢٠١٠

شَاهِدُ قطار

أحسستُ بأنَّ عجلاتِ القطارِ عقاربُ ساعةٍ تُقَرِّبُني من محطتي القادمة. كانتْ سرعتُه معتادةً بالرغم من سوء الخدمة وسوء النظافة وجهاز المكيِّف الذي منح قوَّتَه لعجلات القطار واكتفى بنسماتٍ لا تطردُ رطوبةً ولا تخفِّفُ حرارةً.

وقف القطار في محطَّةٍ فرعيَّةٍ. دخل شابٌّ هادئٌ أنيقٌ في زيِّه الرسميِّ. فاستغربتُ ارتياحي له بالرغم من أنني لا أكنُّ احترامًا كبيرًا للكثيرين مِمَّنْ هُمْ على شاكلتِه أو يرتدون زيَّه. أخرج سلاحه. قلتُ لنفسي:

- المظاهر خدَّاعة، فها هو يتباهى بسلاحه الرسميِّ كأنه ربُّ هذا القطار وربُّ كلِّ شيء.

ظننتُه يحاول أن يقول لنا إنه ذو سلطة. جلس على كرسي فارغ على الجهة الأخرى أمامي. اتكأ بظهره للوراء. نظر إلى السقف. رفع سلاحه فوق عينيه كأنه مفتون به إلى حد الوله. نهض فجأة. دار بعينيه على الوجوه. عاد ليقف بجانب الكرسي الذي كان يجلس عليه. أفرغ الرصاص بسرعة في الجالسين بجواري وأمامي. ورأيته يخرج من القطار في هدوء وأنا أحاول أن أضغط بيدي على كتفي لأوقف النزيف قبل أن أسقط فاقد الوعي.

١٣ يناير ٢٠١١

تخبُّط

سألني سؤالا رأيتُه غامضًا ومليئًا بالأسئلة في الوقت ذاته:

- لماذا كلُّ هذا؟

ثم صمتَ. ترك الدموع تتشاجر في عينيه. لم أجدْ إجابةً ولم أستطع أن أستسيغَ سببًا. لم أستطع أن أحتمل صراع الدماء وهي تُداس على الإسفلت رخيصةً كترابِ وطنٍ.

عندما استدرنا لنبتعد قبل أن نموت من ارتفاع الضغط أو توقُّفِ القلب أو الألمِ الطاغي، استوقَفَنَا شُرْطِيٌّ ليسألنا عن هويتنا وسَبَبِ تواجدِنا في هذا المكان، كأننا لا يحقُّ لنا سوى أن نتفرَّجَ على مَشَاهِدَ الدَّمِ في التليفزيون كفيلمٍ لا علاقةَ لنا به. كنت أودُّ أن أسألَه:

- وأين كنتَ قَبْلَ ساعةٍ من الآن؟

لكنني خشيتُ أن يحوِّل السؤالَ ذاته إلى تهمةٍ تستوجب الاعتقالَ. نظرتُ إليه بحدَّةٍ مُقنَّعَةٍ عندما سأل مُستفِزًّا:

- وما الذي جَمَعَكُمَا؟

كنتُ أودُّ أن أقول له:

- وهل الديانة سببٌ في الفُرقة؟

أو أقول له:

- وهل أنت تسعد بفُرقتنا؟

لكنني لم أضمن ذكاءه، وخشيتُ أن يتعامل كالمعتاد ليقودنا إلى حيث لا ندري، فنخسر ما قد يُمْكِنُنَا أن نشارك به في تخفيف المأساة. قلتُ بقدر ما استطعت من افتعال المزاح:

- يا باشا. اليوم عيد وجئت لأحتفل مع صديقي.

ولم تسمح المرارةُ لصديقي أن يقول شيئا. قبل أن يتطور الوضع إلى أسئلة أخرى ومحاولة منا لتجنُّب العبث، صدر صوت من جهاز اللاسلكي الذي بيد الشرطي يأمره بالذهاب، فانصرف.

أَخَذْنَا نجوب الشوارع بحثا عن نسمة هواء قديمة لم تلوِّثها الحرائق، لم تبدِّدها الانفجارات ولا الأصواتُ المتخبِّطة.

٣ يناير ٢٠١١

هيرا

مهداة إلى نجاح عبد النور ومسرحيته ميكانو

تنطلق فَزِعَةً. تنظر أمامها إلى البراح الشاسع المُمِلِّ الذي يحاول أن يسرِّبَ إليها الشكَّ. تبحث عن نقطةِ ضوءٍ أو علامةٍ على الطريق. تودُّ لو تنظر وراءها وتجد "ميكانو" نهض منتصرًا على ذاته. لكنها تخافهم. تخشى أن تتعثر قدماها فتسقط سقوطًا لا سبيل للخروج منه.

تضع فقط صوتَ قلبِها علامةً تهتدي بها وسط ضياع العلامات.

- سأصل بالتأكيد.

عبارة تكررها كي لا تتوه أو تضيع. تسمع من هنا أو هناك أصواتَ ضحكاتٍ ساخرةٍ. لكنها تعرف ما تريد. لا تترك ضحكةً تتمكَّن من قلبها أو تُسْكِنُ صوتَ عقلِها الضاجِّ بالأسئلة.

- الضَّجَّةُ بالأسئلة علامةُ تيقُّظٍ.

تؤكد لنفسها. تصرُّ على أن تتمسَّكَ بيقظتِها. أصواتُ مَنْ سقطوا تطنُّ في أذنيها. فتبصق على مَن يحاول اللحاقَ بها أو يلقي بكلمات بربرية في أذنيها.

تتعثَّرُ قدماها في جثة أحدهم. تفاجأ بوجود المسامير المفكوكة من ميكانو هنا بالرغم من أنها سقطت هناك عند الجبل البعيد الذي لم تعد له أية علامة. تحسُّ بلهيب النار يحرق قدميها وتشمُّ أذناها أصواتَ أسلاكٍ بدأتْ في الاحتراق. تتذكر كلَّ مَنْ سقطوا، كلَّ مَنْ لم يتمكَّنُوا من أن يُخرجوا الحياةَ المحبوسةَ داخلهم، كلَّ مَنْ أغمضوا أعينهم ولم يروا نورًا يكاد ينفلت من قلوبهم ليضيء لهم الطريق. تتذكر كل الكلمات البربرية والانهزامية. صوت ينبع من داخلها يقول لها:

- هيا.

تستجمعُ كلَّ ما أوتيتْ من قوةٍ وتنهضُ. تواصلُ السعي ما بين العلامات المنمحية. الاتجاهات الثلاثة الأخرى جرّبتها. لا بدَّ إذن أن تظهر علامة على هذه الطريق.

لا تنصت لصور السقوط التي تدور في رأسها كفيلم سينمائي أخذ عاملُ العرضِ يلهو بتسريعه وكأنه يسخر بالمشاهدين. لا تنصت للصوت الذي يقول لها إن ميكانو لم يَرُدّ قَطْ على أيَّةِ كلمةِ غَزَلٍ بدرتْ منها. يُفْزِعُها الوهنُ الذي بدأ يدبُّ في أطرافها.

- لا بدَّ أنَّه الوهنُ الذي يَسْبِقُ الإشراقَ.

تقولها لنفسها في يقينٍ وكأن الإشراقَ ذاته هو الذي يكلِّمها. فتلغي كلَّ هذا الوهن بِتكَّةِ إصرارٍ وتُوَاصِلُ العَدْوَ. تنطلق عابرةَ المسافاتٍ. وعندما يبلغ الجهدُ مداه، تشتمّ آثارَ نورٍ يتسرَّبُ إلى طريقها. تعدو أكثر. تجد النور خارجًا منها ينير لها الطريق لتُبْصِرَ كلَّ العلاماتِ.

١ مايو ٢٠٠٨

كيريا ليسون

الرَّجُلُ رِجْلُه انقطعتْ. يا مايكل. يا ليتني أحضرتُ ابنتي معي. كنا سنموت سويًّا. مَنْ سيرعاها في هذا الجحيم؟ أين صوتُكَ يا بني؟ فقط صوت انفجار. كنيسة تنهار. لم تلحق بالفرح يا بني! يا يسوع. ولماذا الجنود إذا كانت ستنهار؟ وربما هم أنفسهم. وهل جفَّ دمُ العامِ الماضي حتى تمتلئ الأعيادُ بالدماء؟ يمضي عام جديد. يعرفون التهديدات بالتأكيد. أين يدي؟ لا أرى شيئًا. أين السيول التي تركناها بالخارج؟ أهي مَحْرَقَةٌ؟ ومَنْ يستطيع أن يعرف السبب؟ فقط صوت انفجار وأظلمت الدنيا واشتعل الدمار. يا إلهي!

أين أنت يا مايكل؟ يا حبيبتي يا بنتي! سنوات أخرى حتى يعرفوا مَن تلاعبَ بدمِنا. دمنا مُراق على الأرصفة. دمنا مُراق في الكنائس. وفي الجوامع أيضا. دمنا قربان للرب. ويقولون عيد! يا رب، لا تهنِّئْه بِعِيدٍ أبدًا! يا رب، بنتي معك. يا رب أرسلْ لي مايكل. ماذا سأفعل بدون أعضائي؟ خُذْنِي كلِّي. كيف سأواجه عيونًا لا أعرف مَن فيها قاتلي؟

أسبحُ في شوارع الدم. أعبر الشط إلى بيتي. أين رائحتي؟ أين عنواني؟ كأنني لستُ بهذا المكان، كأن نَفَسِي لم يتركْ بصمةً. طائرة. دمعة هاربة.

حنين مزدوج، لأرضٍ فاتتْ تملؤها الدماءُ، دم إخواتنا في بارليف ميروحش هدر في جنيف. بالروح بالدم نفديك يا صليب. حنين لأرض ستجيئ تغمرها المياه. وما بين الطوفان والطوفان شرطيٌّ جبان. يحيا الهلال مع الصليب! شرطيٌّ غادر. يموت الصليب مع الهلال!

كيرياليسون[1] كيرياليسون! هيا اصعدي، لكِ السماوات ولكِ الأرض. ازرفي دمعك فيضانًا. سيكتسح كَّل الحزنِ. سيجرف كلَّ التماثيل المنصوبة لتوِّها في الميادين.

حبيبتي لم تودعك ذاتي. فَرَّقَتْنَا المتفجراتُ والجنودُ الواقفون بالباب وورق الجرائد بلا معنى. فَرَّقَتْنَا الأصواتُ الرخوة. فَرَّقَتْنَا الكراسي التي لا تنهش إلا من يقترب منها. فَرَّقَتْنَا أرصفةٌ تغيَّرتْ ألوانُها. فَرَّقَنَا لسانٌ شَطَرَهُ شُرْطِيٌّ على برج بابل، فانقسم لسانين لا يفهمان بعضهما. تفرُّ منّي دمعة فأتركها، دمعة ربما تحرق البلادة والفُرقة والشرطي العجوز.

٢ يناير ٢٠١١

---

[1] "يا رب ارحمْ" بالقبطية.

بذرة ثورة

- أين بنتي؟
- لا أعرف.
- ذهبتُ إلى كل المستشفيات ولم أجدها. هذه آخر مستشفى.
- لستَ أول من يسأل عن بنته ولم يجدها.
- بنتي يا ناس!
- العشراتُ غَيْرُكَ جاءوا يسألون عن بناتهم اللاتي جرف السيل أتوبيس رحلتهن.
- وماذا تفعل أنت إن كنتَ لا تعرف أين هن؟
- أتتبجَّح أيضا؟ خذ...
- أتضربني أنا يا ابن أبيك وأمك وتحتمي برتْبتكَ؟
- أضربكَ وأضرب بنتكَ حتى لو جاءت جثةً.
- سأعرف كيف آخذ حقي منك.
- ها هو المحافظ جاء يتفقَّد المصابين. اذهبْ واشتكِ له كما يحلو لك.
- يا سيادة المحافظ، بنتي ضاعتْ. كلما ذهبتُ لمستشفى قالوا لي: "ابحثْ في غيرها". أربع وعشرون ساعة لم أنمْ ولم أكفّ عن البحث.

- وماذا أفعل لك؟

- إن كنتَ أنت المحافظ بجلالة قدرك لا تعرف ماذا تفعل، من يعرف إذن؟

- وهل المحافظ فارغ للمرضى. حذَّركم خبراء الأرصاد وأنتم أغرقتم أنفسكم.

- يا رب بنتي، بنتي يا رب.

-

١١ يناير ٢٠١١

وقودُ محرقةٍ

بعدما لم تجد بنتَها الغارقةَ في أي من مستشفيات المُحَافَظَةِ، وبعدما تأكدتْ أنه لم يَعُدْ من مُشرفي الرحلة سوى المديرة وأقاربها الذي قفزوا من الأتوبيس بمجرد انقلابه وغرقه وسط السيول، وعادوا إلى منازلهم، وغرق المدرسون في محاولاتهم لإنقاذ مَنْ يمكن إنقاذه، سارعتْ إلى مكان الحادث في المحافظة الأخرى على أمل أن ترى أو تسمع شيئًا عن بنتها.

وجدتْ بعض الوجوه القانطة متناثرة هنا وهناك، تطيل النظر، وجوه تنتظر أن تحنَّ الرمالُ وتبتلع مترًا من المياه حتى يستطيعوا الخوض والبحث بمفردهم بعد أن يئسوا من رجال الإنقاذ. توجهتْ من سيارة الأجرة مباشرة إلى شُرْطِيٍّ يدخن سيجارة ويستمع إلى جهاز راديو في يديه كأنه خارج المشهد تمامًا.

- أين الجثث التي استخرجوها؟

- الجثث كلها جرفها السيل، لكن هناك جثتين في كيسين أسودين على الأرض بجانب كمين الشرطة هناك.

سبقتْها دقاتُ قلبِها. زغردتْ بهستيريَّةٍ عندما شمَّتْ رائحةً مألوفةً. تتبعتْ الرائحةَ. قبَّلت الكيس بجنون قبل أن تفتحه وكأنها على يقينٍ تامٍّ بأن ابنتَها بداخله. فتحتْه. قبَّلتْ شعرَها. سحبتِ الرأسَ نحو صدرها:

- سرقوا ذهبك. فداكِ يا حبيبتي. هيا افتحي عينيكِ. لا تمثِّلي النومَ. لن أعاتبك. حمدا لله على سلامتكِ قبل كل شيء. هيا استيقظي.

نظرتْ إلى كمين الشرطة وأخذت تناوب بين العويل والزغاريد كوقودِ محرقةٍ لثورةٍ قادمةٍ.

١١ يناير ٢٠١١

تعميد

أحسستُ بأن الترنيمة فقدتْ إحساسَها على أذني كأنني أقرأ جريدةً حزبيَّةً أو أستمع لبيانٍ حكوميٍّ أو وعودِ القيادةِ. كانت المكالمات ترشق أذني مُعَزِّيَةً. وبالرغم من أن كل تلك المكالمات الكثيرة كانت تُحْسِسُني بأنني لستُ وحدي في هذا العالم، فإنَّها جسَّدتْ طَعْمَ مرارةٍ في حلقي، طعم مَلْحٍ في دمي، ففي مثل هذا اليوم من عام مضى تلقيتُ المكالماتِ ذاتَها، العزاءَ ذاتَه، نفسَ التأكيد على الشراكة في الوطن. أحسستُ بأن المكالمات تنثر الملح على دماء العام الماضي، تنثر الملح على دماء العام الحاضر. وبالرغم من أن العام بدأ بداية مشئومة، لم أتطيَّر، كما يقول الإخوة المسلمون. خلعتُ ملابسي برغم شدة البرد وألقيتُ بنفسي في النيل عَلِّي أتعمَّد من جديد.

٣ يناير ٢٠١١

خذني معك

- خذني معك يا عم.
- أين آخذكِ؟
- في الإسعاف.
- غير مسموح أن آخذ شخصًا سليمًا.
- سيحملني السيل. ستأكلني العفاريت.
- أين أبوك؟
- وضعني فوق الأتوبيس المقلوب وقال: "سأنقذ بنات المدرسة".
- كيف شَكْلُ أبيكِ؟
- طويل، بذقن، قميصه أصفر، رجله عرجاء.
- لكِ الصبر.
- خذني معك.
- ادخلي. مثِّلي أنك نائمة بجانب أبيك. إذا نَغَزَكَ أحدٌ برجله لا تفتحي عينيك. لا تفتحيها أبدا. أبوك رجل طيب وأنت لا ترضين لي التحقيقَ.

١١ يناير ٢٠١١

طريقهم

خرج من عند الموظف حزينا وعلى وجهه قدرٌ من الغضب بالرغم من أنه نادرًا ما يُظهر غضبه. ربَّتُّ على كتفه مازحًا:

- أهكذا تتركني أنتظركَ طويلًا؟

ظهرتْ ابتسامةٌ متردِّدة على وجهه وسار بجانبي صامتًا. حاولتُ أن أُخْرِجَه عن صمته بكلام عن الحرارة العالية التي بدأت شدتها تنكسر وتعتدل، لكنه ظل شاردًا كأنه لا يسمعني.

أحسستُ بأنَّ شيئًا ثقيلًا حدثَ أو أنَّ شخصًا ما كدَّرَه، فأدرتُ المفتاح في باب سيَّارتي وانتقلتُ بسرعة إلى الجانب الآخر أفتح له الباب، ربما لأعوِّض باحترامي الزائد ما قد يكون قد تعرَّض له عند ذلك الموظَّف. أَرْجَعَ الكرسي للوراء وأرخى ظهره كأنه يجلس أمام طبيب نفسي. شرد قليلا، ثم التفتَ إليَّ نصفَ التفاتةٍ، قائلًا:

- لا داعي لأن أتعلَّم اللغة العربية إذن. كنتُ أظن أنني في بلدي وأن الوضع سيتغيَّر. كنتُ أقول لنفسي إن هذه الإساءات غير مقصودة. يا أخي حتى الإسلام لم يصل إلينا عن طريقهم.

فلم أجد ما أقوله له سوى أن أعتذر عن خطأ لم أرتكبه.

٢٠ ديسمبر ٢٠١٠

ألم الأرض

أحسستُ بأن قلبي يتباطأ، كأنه يتلكأ أو يودُّ التوقُّفَ للحظاتٍ حتى يستعيدَ أنفاسَه. هممتُ أنْ أُنبِّهه إلى أنَّ هذا الأمرَ ليس فيه مجالٌ للمُزَاحِ. لكنَّ الأتوبيسَ كان يهتزُّ بشدَّةٍ، ربما لأنه قديم، وربما لكثرة الأجساد أو القلوب المتمردة أو لكثرة المطبَّات بالطريق. رأيتُ الأتوبيس امتدادًا لقلبي، بالرغم من عدم وجود متسع بين الأجساد المتلاصقة التي أحسستُ أن نصفَها على الأقل من المُخْبِرين. وربما كان الأتوبيس ذاته قد فكَّر في أن يستعيد أنفاسه هو الآخر. وجدتُ نفسي أدفع الأجساد بقوَّةٍ لم أظنّها كامنةً بداخلي. كلما دفعتُ جسدًا، ازداد قلبي نبضةً، فوددتُ لو أدفعُ الأجسادَ كلها، خاصَّةً وأنَّني أبصرتُها في ذلك الوقتُ مَنَصَّاتٍ لا تُجِيدُ سوى الكلامِ والتَّغَافُلِ عن ألمِ الأرضِ.

ألقيتُ بنفسي على الرصيف قبل أن تخضرَّ إشارةُ المرور. مسحتُ الدم من على رأسي، ونظرتُ إلى الأتوبيسِ المترنِّحِ نظرةَ أسًى عندما وجدتُ قلبي يستعيدُ انتظامَه ووجدتُني أسيرُ فَرِحًا والأرض بدأت تخضرُّ على جانبيّ الرصيفِ.

٩ يناير ٢٠١١

اخلعي حذاءكِ

لم أكن أعرفها. كانت شفتاها رسالةً سريَّةً أحسستُ بأنني لا بدَّ أنْ أَفُكَّ شفرتَها. دُونَ سابقِ إنذارٍ أو وعيدٍ، ملتُ نحوَها وقبَّلتُها قبلةً كادتْ تقتلعُها. تماسكتْ وصفعتْني على خدي صفعةً كادت تقتلعَني وتهوي بي. تماسكتُ وصفعتُها صفعة كادتْ تهوي بها. ارتبكتْ. نظرتْ يمينًا ويسارًا بالرغم من أنه لا يوجد أحد حولنا. ازداد ارتباكُها. تحسَّستْ خدَّها، ثم نظرتْ إلى آثارِ أصابعِها على خدِّي. قالتْ بنبرةٍ مُشْفِقَةٍ:

- أنا آسفة.

أحسستُ بأن اختباري قد نجح وأن عبارتها تقارب الكثير من العبارات المشابهة التي تملأ صفحات الفيس بوك هذه الأيام. نظرتُ إليها غاضبًا وصفعتُها على خدِّها بأقوى ما في إمكاني، قائلًا:

- علامَ تتأسفين؟ اخلعي حذاءكِ واضربي به من لا يقدِّس خصوصيَّتَكِ.

فرفعتْ وجهَها وعَلِقَتْ نظرةٌ حائرةٌ بعينيها كأنها تبدأ الحياةَ من جديدٍ.

٥ سبتمبر ٢٠١١

عيون موقوتة

بينما كنتُ أتأمَّلُ المكانَ وأنا جالسٌ بين أصدقائي بعد انتهاء الندوة، وقعتْ عيناي عليه. لا أعرفه على وجه الخصوصية أو الصداقة. لكنَّ وجهَه مألوفٌ إلى حدٍّ ما من خلال مواقع الصحف على شبكة الإنترنت. كان ينظر إليَّ نظرة دموية، نظرة موقوتة بالغضب والإنذار والوعيد. لا أعرفه معرفة شخصية وأظنُّ أنه لا يعرفني. استغربتُ من نظرته هذه. قلتُ لنفسي:

- ربما كان قد استمع إلى قصيدة من قصائدي بالندوة ولم تعجبه.

لكنني في الوقت ذاته استبعدتُ هذا الاحتمال، فلا مُبَرِّرَ أصلًا لأن يغضب من قصيدة لم تعجبه. لو غضب كلُّ قارئٍ وجمَّعَ في عينيه أو لسانه أو يده كلَّ هذا الحقدِ وكلَّ هذه الدماءِ لَفَنِيَ البَشَرُ أجمعون ولم يَتَبَقَّ منهم أحدٌ حتَّى هو. ربما كان في قصائدي شيء يدعو للغضب بالرغم من الجمال الذي التحم بكلمة الغضب هذه الأيام، أو كان فيها شيءٌ خارجٌ قد يرى فيه بعضُ ضَيِّقي الأفقِ إهانةً أو استهانةً أو تجاوزًا غير مقبولٍ من وجهةِ نظرِهم.

حاولتُ أنْ أسترجعَ كلَّ القصائدِ التي ألقيتُها أو بالأحرى قرأتُها على المنصة. لم أجد فيها شيئًا متجاوِزًا، وحتى لو من منظور الشخص العادي أو

حتى من منظور مَنْ يقرأ الشعر بأفق ضيِّق، إلا إذا كانت الثورة في حد ذاتها تَجَاوُزًا من منظوره هذا.

أذكر أن أيادي كثيرة أخذت تصفِّقُ عندما ألقيتُ قصيدة "الورد"، خاصة وأنني بعد انتهائها، ألقيتُ مقطعًا من أغنية وجيه عزيز:

"متجرَّحوش الورد": "متجرحوش الورد بلاش/ دا الشوك رخيص وساعات ببلاش... متفردوش مليون صفحة/ دا الهم ورقة ومش رابحة/ جَرَّبْت من قلبي الفرحة/ متجرَّحوش الورد":

يموتُ الوردُ عندما يُخَصْخِصُهُ أحدٌ

أريجُه يحنُّ إلى كلِّ الأنوفِ

أوراقُه تتطلَّعُ إلى كلِّ العيونِ

ويبقى الوردُ منفتحًا

ويبقى الوردُ متفتِّحًا

ويصبحُ الوردُ مادًّا أريجِه

إلى كلِّ قلبٍ يبتسمُ للحياةِ

إلى كلِّ الأيادي الصانعةِ

والعيونِ المتأمِّلةِ

والأفواهِ الناطقةِ بكلمةِ صدقٍ،

يموتُ الوردُ إذا التفَّتْ حولَه الأسوارُ
أو سرَّب أحدٌ شوكًا غريبًا إلى أرضِه
أو صادرتْه المزهرياتُ
أو ألقتْ به أيادٍ عابثةٌ في بطونِ كتبٍ،
يموتُ الوردُ إذا أقامَ أحدٌ سورًا في طريقِ أريجِه
يموتُ الوردُ إذا وقفَ أحدٌ يلعنُ تفتُّحَه
يلعنُ امتدادَه
يلعنُ بسمتَه التي يلقيها على كلِّ الوجوهِ
وتحيَّتَه التي لا تُفرِّقُ بين الملامحِ،
وتموتُ ورودي إذا رضختُ لمثلكَ ولعنتُ تفتُّحَها
وحجبتُ أريجَها الجاري في نهرِ الحياةِ،
فلا تنظرْ لي شَزْرًا
ولا تمدَّ يدَكَ إلى رقبتي أو لساني،
أنا واقفٌ أمامك أبْنِي وطنًا
وأصنعُ غدًا
لا أنصبُ لنفسي شرنقةً
ولا أنصبُ لعشَّاقِ الحياةِ ارتدادًا

فلا تترقَّبْني في أي مساءٍ
فأنا لن آتي إليكَ
وأنا لن أسدَّ أبوابَ ورودي
أو أغلقَ نوافذَهن المطلَّةَ على بحري
وشمسي
ونيلي الهادر.

كانت هذه هي القصيدة الوحيدة من بين القصائد التي ألقيتُها التي أستخدم فيها ضمير المخاطب. استرجعتُ سريعًا أنني أخاطب فيها شخصًا متجهِّمًا عابسًا يكره الحياةَ أو يخاف منها، لكنني استبعدتُ أن يطبِّق شخصٌ، مثل ذلك الذي ينظر إليَّ نظرةً منْذِرَةً، ملامحَ الشخصِ الذي كنت أخاطبُه في القصيدة بحذافيرها ويهدِّدَنِي علانيةً بجلستِه المستفزَّةِ ونظرتِهِ القاتلَةِ. لو كنتُ ألقيتُها مثلا في منام لي كان من الممكن أن يتسلسل الحدث هكذا: ألقي قصيدة أخاطب فيها شخصًا متجهِّمًا، فأرى شخصًا متجهِّمًا يجلس بالقرب مني وينظر إليَّ نظرةً دمويَّةً. لكنني لستُ في منام، فأنا في كامل يقظتي ويدبُّ فيّ إحساسي بالحياة وبالانتشاء الذي ولَّده فيّ إلقاء القصائد، فإلقاؤها على الأقل فرَّغ جزءًا من توتُّرِي، من تشابُكِ أفكاري.

عندما أدركتُ أنَّ الحدثَ غيرَ منطقيٍّ، تخيَّلتُ أن يكون هذا الشخص من الممثلين في برنامج للكاميرا الخفيَّةِ، أو أنه شخص يريد أن يمازحني ليتعرَّف عليَّ أو أتعرَّف عليه، فانتظرتُ أن يغيِّر نظرته، أو يبتسم مثلا، أو يتقدم نحوي، أو يشير بإصبعه إلى كاميرا محتجبة عنَّا كانت قد صوَّرتْ انفعالات وجهي بعد أن تلقيتُ سهامَ نظرتِه. لكنَّ شيئًا من هذا كله لم يحدث أبدًا. وظلَّ الوضعُ متجهِّمًا كما هو. لاعبتُه بحواجبي كي أخرِجَه من هذا، أو أنبِّهه إلى أنني أدركتُ مَلْعُوبَهُ أو مَقْلَبَهُ، لكنه ازداد تجهُّمًا كأنني أسخر من غضبه ولا أقدِّره حقَّ تقديره، أو أنني استهزئ به هو شخصيًّا، وكأنه كان يشعر، فيما ظننتُ، أنني كنتُ أخاطبه هو شخصيًّا بالقصيدة، وها أنا بعد أن فرغتُ من إلقائها أُزِيدُ من السخرية منه لأؤكد أنني لا أعتبره شيئًا مذكورًا، من وجهة نظره كما تخيَّلتُها.

أخذتُ أعبثُ في كوب العصير بين يدي، وعيناي مسلَّطتان عليه، كأنني نسيتُ مشهدَ العين الغاضبة الهادرة تمامًا. وبينما كنت أتأمَّل العصير، همستُ لأصدقائي بأن يستديروا فجأة ونواجه جميعًا تلك العيونَ الغاضبةَ. أخذنا نضحك فجأةً عندما أصبحنا صفًّا واحدًا ووجوهنا تواجه ذلك الناظرَ نحوي. أطلْنا الضحكَ وأخذْنا نشير إليه لنستفزَّه، أو يكشفَ عن ملعوبه، أو يمزجَ مزاحَه بمزاحِنا، أو يقفَ ويقولَ أيَّ شيءٍ يُفَسِّرُ به غضبَه الذي

ازداد في عينيه بعد ضحكاتنا. لكنه لم يَقُلْ شيئًا. وازدادت كثافةُ نظرتِه كأنَّها على وَشَكِ الانفجارِ.

تخيَّلتُه سينفجرُ فعلًا أمامنا الآن ويفجِّرنا معه، فصحتُ بأصدقائي لنخرج سريعًا: فنظرًا لعدمِ منطقيَّةِ غضبِه أصلًا يمكن أن ينفجرَ فعلًا ليُكْمِلَ عبثَ المشهدِ. فخرجنا بسرعةٍ لنتفادى شظايا الانفجار. وأخذنا نتضاحك فيما بيننا لهذه المزحة التي لم نستطع فهمها بالرغم من أننا معتادون يوميًّا على الاطلاع على صفحات الكاريكاتير في كل الجرائد على شبكة الإنترنت وكذلك المقالات الساخرة في هذه الجرائد وفي المدونات والمنتديات وصفحات الفيسبوك، ونستطيع أن نلتقط أية إشارة لسخريةٍ أو مفارقةٍ أو تلميحٍ. ولكننا أمام هذا الوجه الغاضب والعيون التي على وشك الانفجار، لم نستطع أن نفهم شيئًا، ولم نستطع أن نستوعب كراهيَّةً بلا جذور.

ما إن وقفْنا بالخارج لننتظر تاكسيًّا ينقلُنا إلى المقهى بالحي الذي نسكن فيه حتى سمعْنا صوتَ انفجارٍ بالداخل وأصواتَ صرخاتٍ وآلامٍ وتوجُّعَاتٍ أكبر بكثير من أصوات جمهور الندوة الذين كانوا ينصتون إلى قصائدي.

٢٤، ٣١ مايو ٢٠١١

رقصةُ تَحدٍّ

قال: "هات العصا يا ولد"، ونظر نظرةً موقوتةً بالغضب كأنه فرعون عصره أو كأنه نمرود ظنَّ أن بيده أن يُحيي ويُميت. لكن كل الوجوه حوله انفجرت بالضحك لنظرته الغاضبة وجسدِه الثَّقيل وصوتِه الذي يجمع بين الخشونة والحسم. التفُّوا جميعًا حول الشاب الذي يريد أن يضربَه ذلك الكائن بالعصا: ظهورهم نحو الشاب ووجوههم نحو ذلك الكائن...

جاء الولدُ بالعصا، لكنه كان يتراقص بها رقصةً تدعو للتحدِّي، تدعو لاستنفارِ الهِمَمِ، تدعو لتوليدِ الطاقةِ المتجدِّدَةِ، بينما ينظر بين حركة وأخرى إلى ذلك الكائن. فخرج الكائن صامتًا ليرحل وهو يجري كي لا تخونه عضلاته المتيبِّسةُ وشرايينُه الممتلئةُ بالدهون، فهو بإمكانه أن يقع فوق شخص ويقتله، لكنه ليس بإمكانه أن يلاعب فتى أو يواجه نظراتٍ تستهين به، وليس بإمكانه أن يبدأ بالخطوة الأولى لتَعَلُّمِ الرقص.

٢٥ يوليو ٢٠١٢

مطرٌ تُعجزُه نارٌ

وجدتُه أمامي وجهًا لوجهٍ. من هو؟ أذكُرُه ولا أعرفُه، كأنه كان أو كنتُ نسيًا منسيًّا. فتَّشتُ في المكانِ: لم أجد أثرًا لنخلةٍ أو لجموعٍ ساخرةٍ أو مُتَّهِمَةٍ. هممتُ أن أسأله عن نفسِه أو عن نفسي. تلاشى تمامًا، لكنَّ صدًى أخذَ يتردَّدُ دونَ أن أكتشفَ له مَصْدَرًا أو أحدِّدَ وجهًا في نطاق رؤيتي. صدى يقول:

- من أنت؟ لماذا عدتَ؟ ألا تعرفُ أنَّ الخطواتِ استحالةٌ.

لم أستطعْ أن أُحدِّدَ إن كانتِ الاستحالةُ من التغيِّرِ أم من المستحيلِ. وما إن تلاشى الصدى حتى وجدتُ نارًا تشبُّ على البُعْدِ، وفوقها أمطارٌ غزيرةٌ تتساقطُ عليها دون أن تستطيعَ أن تُطفئَ منها شيئًا أو أنَّها تطفئها وسرعان ما تعود النيرانُ إلى كاملِ قوَّتِها.

أحسستُ بالفزعِ والدَّهشةِ والذُّهولِ، ولكنَّني لم أستطعْ أن أخطوَ خطوةً واحدةً نحو النار أو المطر، ولم أعرفْ كيف أتحرَّك، خاصة وأن جميع الملامحِ أو المعالمِ باستثناء النار والمطر تلاشتْ تمامًا وكنتُ واقفًا بمفردي والفراغُ بيني وبين النارِ حولي من جميع الاتجاهات.

تمنَّيتُ أن يتساقطَ المطرُ فوق رأسي ليطفئ قدرًا من نارها، لكنني ازددتُ اشتعالًا دون أن يَقْرَبَني مطر أو أستطيعَ أن أضعَ قدميَّ على طريقٍ تتَّضحُ معالمُه.

١٣ سبتمبر ٢٠١٣

مُخْبرٌ تائه

قالتْ له بلهجةٍ جادَّةٍ تمامًا:

- إن كنتَ لا تحبُّني، لماذا تزوجْتَني؟

تظاهر بالصدمة، فهو لم يتزوجها وهي لم تتزوجه. أخذ يحكُّ جبهتَه بيده اليسرى ويفكِّر، وهي تتلهف على ردِّه:

- يا حبيبتي، ليس لي غيركِ أصلًا. إن كنتُ لا أحبُّكِ، فمن تكون حبيبتي؟

ابتسمتْ ابتسامةً تسع الدنيا كلها. أخذ دوره وسألها:

- إن كنتِ لا تحبينني، لماذا تزوجتِني أصلا؟

حدَّقتْ في عينيه، مكرِّرةً كلمة "أصلا"، ثم قالت:

- أصلا، أصلا، تزوجتُكَ استعباطًا.

فضحكا سويًّا، وسرعان ما رفعا ضحكاتهما الهامسة عندما أبصرا ثقبًا في جريدة يمسك بها شخص يجلس على طرف المقهى وأدركا في نظرته من وراء الثقب مُخْبِرًا يترصَّدُهما.

١٠ يناير ٢٠١١

مفجِّر الياسمين

قال متباهيًا في مكبِّر الصوت من على المنصَّة المنصوبة له خِصِّيصًا في السَّاحَةِ أمامَنا:

- كلما رأيتُ ياسمينةً، فجَّرتُ الثورةَ المندسَّةَ وراءَها.

فقلتُ بالرغم من أنني كنتُ واثقًا تمامًا من أنَّ صوتي يضيع وسط ضوضاء مكبِّرِ الصَّوْتِ وأصواتِ رجالِه المهللينَ لحكمتِه وبشراه وزعامتِه:

- كلما رأيتُ رجلا أجوف، فجَّرتُ الموتَ الذي وراءه.

ثم أخرجتُ حجرًا من جيبي وصوَّبتُه نحوَ فمه مباشرة. لكنَّني وجدتُ الحجرَ يكسر جزءًا من زجاج يحيط به من كلِّ جانبٍ لم نكن نراه، ورأيتُه هو يختبئ خَلْفَ المنصَّةِ كفأرٍ مذعورٍ عندما ضخَّم مكبِّرُ الصوتِ صوتَ انكسارِ الزجاجِ.

٢٣ يناير ٢٠١١

عامل المنجم

صُدمتُ عندما وجدتُ صورتي مبتسمةً في جريدةٍ قوميَّةٍ. الخبرُ لا يَحْتَمِلُ ابتسامةً ولا غِشًّا. ازدادتْ صدمتي عندما وجدتُ المائتي جنيهٍ التي صُرِفَتْ لي كتعويضٍ عن أضرارِ جَرْفِ السيلِ لي لمسافةِ عشرينَ كيلومترًا تَحَوَّلَتْ إلى ألفينِ جنيهٍ في الجريدة. كاد قلبي يتوقَّفُ عندما وجدتُ الخبرَ يقول إن رجال الإنقاذ هم من أنقذوني وليس عم يوسف عامل المنجم. ألقيتُ بالجريدة على الأرض. فكَّرتُ أن أذهب لعم يوسف لأعتذر له عما أُنْتُقِصَ من حقِّه، لكنني لا أعرف كيف أصل إليه ومئات الكيلومترات تفصل بين قريتي وذلك المنجم، وسائق أتوبيس الرحلة ذاته، الذي يعرف على الأقل الموضع الذي انقلب فيه الأتوبيس، غرقَ في السيول. فرميتُ نفسي في حضنِ أمي وقررتُ ألا أصدِّق ابتسامةً أخرى في جريدة من هذا النوع.

١١ يناير ٢٠١١

مريم

يا رب، أَنْجِ مريم. لا صديقةَ لي صديقة غيرها. يا رب، لا تجعلْ فرعَ الشجرةِ المتعلقة به مريم بين الصخرتين ينكسر. أحمدُكَ على هذه الصخرة الكبيرة الراسخة التي رزقتَني بها. لكنها صديقتي. والله العظيم لستُ لي صديقة غيرها. يا رب، فرعُ الشجرةِ لَانَ، انظرْ إلى الرُّعْبِ في عينيها وفي عينيَّ. تنظرُ لي لأنقذها. كيف أنقذُها ضدَّ التيَّارِ؟ لو تحركتُ شبرًا واحدًا لجرفني. يا رب، قد تكون هذه لحظاتِ غَرَقٍ، لن أجازفَ بالانتحار، لن أجازفَ بنهايةٍ تُغضِبُكَ. لو كنتَ ألقيتَ هذه الصخرةَ في طريقها، لكان حالُها أفضلَ، وساعتَها كنتُ سأرضى بفرعِ الشجرة. نِصْفُ حياةٍ ونصفُ حياةٍ أفضلُ من حياةٍ واحدةٍ.... سأكتفي بيدٍ واحدةٍ متشبِّثةٍ بالصَّخرةِ وسأمدُّ اليدَ الأخرى وما تيسَّرَ من جسدي في طريقها عندما ينكسرُ فرعُ الشجرةِ. يا مريم، يا مريوم. لا تسمعُني. وحتى لو أبعدَني التيارُ عن هذه الصخرة، لا يهمُّ. سنجد نحن الاثنتانِ صخرةً أخرى بالتَّأكيدِ. وبالتَّأكيدِ لن يخذلني ربي. أليس كذلك يا إلهي؟ أليس كذلك؟ أشعرُ برعشةٍ تسري في روحي. سعادة تسنُّ عزيمتي انتظارًا لجبروتِ التيَّارِ وانجرافِ مريم...

١١ يناير ٢٠١١

وعد

جالسٌ أمام مكتبي أصارع بحثًا لا يريد أن يبتدئ. الشتاء في بدايته. الغيوم التي تملأ السماء تسمح لقَدْرٍ من أشعَّةِ الشَّمْسِ بالتسلُّلِ إليَّ. ولكنَّني لستُ منتعشًا بداخلي. رأسي حائرةٌ بين آلافِ الخيوطِ من الأفكارِ المتصارعةِ. ومع أنني كفرتُ بالأبحاث ولجانِ التحكيم، أودُّ أن أثبتُ لنفسي فقط أنَّ أيَّ شيءٍ مَهْمَا كان ظُلْمُه لا يمكن أن يُسَبِّبَ لي عقدةً، ولا يمكن أن يؤثِّرَ على انفتاحي على العالم من حولي وعشقي للحياة وللغد....

لم أنقطع عن القراءة المتواصلة منذ أربعة أشهر، ولم تنقطع الأفكار عن مراودتي. لكنني لا أحس بصدق نبرة أكاديمية خالية من المعنى، ولا أعرف لماذا ينبغي عليَّ أن أضحِّي برؤيتي وإبداعي في سبيل إرضاء أعضاء لجنة لا أقبلُ أهواءَهم.

تبيضُّ شاشةُ الكمبيوتر فجأة كأنها تتمرَّد على التشغيل المستمر أو على ضياع كلِّ مجهودِ الأبحاثِ السابقةِ اعتباطًا، فلا هي انطفأتْ ولا عادتْ إلى ما كانت عليه. أحمدُ الله في سِرِّي: "جاءت منك يا كمبيوتر". تزداد سعادتي عندما تبدأ خيوطُ قِصَّةٍ ترتسمُ في مُخَيِّلَتِي، فأترك كلَّ أوراقِ البحثِ و"استشهاداتِه" وأسلِّمُ نفسي للخيوط لترفعَني إلى تلك الغيومِ الواعدةِ.

١٢ ديسمبر ٢٠١٠

مُحَكِّم

رددتُ على رنَّاتِ الهاتف المتواصلة بالرغم من أنني في إجازة ولا أعرف هويَّة المتَّصِل. قدَّم لي نفسه على أنه ذلك الروائي الكبير الذي تَظْهَرُ صورُه في الصحافة كلَّ يوم. وعندما أظهرتْ نبرتي استغرابي، أكَّد عليَّ أنه هو نفسه. استشعرتُ ذبذباتِ فرحٍ ستتدفق في شَبَكَةِ الهاتف، خاصَّةً وأنني كنت قد تقدمتُ بمجموعة قصصية لمسابقة أدبية كبرى ببلدي ويُفترض أنَّ موعدَ الإعلانِ عن نتائجها في ذلك الوقت.

أكَّدَ على صراحتِه وعلى رعايتِه للمبدعين. استغربتُ الحديث عن الصراحة في حوارٍ أوَّلٍ ويبدو رسميًّا. قال إنه يحكِّم المسابقة الأدبية الكبرى وإنه تعب كثيرًا في قراءةِ مجموعتي كما تعبتُ أنا في كتابتِها، وإنَّ ما يطالب به ليس غريبًا؛ فهناك ناشرون يطالبون باقتسام الجائزة مع المبدع، وأضاف أنه ملَّ ذلك الناشر الذي تفوز إصداراته دائما في المسابقة.

لم يدعني ألملم خيوط اندهاشي وانتقلَ مباشرةً إلى طلبه:

- إذا وافقتَ، سأجعلك تفوز ونقتسم سويًّا مَبْلَغَ الجائزة. وأنا لم أكلِّمْكَ وأنت لم تسمعْني.

فتركتُ الخط مفتوحًا ودخلتُ الحمَّام أُفرِّغ إحساسًا بالغثيانِ سَرَّبَه الصوتُ إلى أحشائي.

٢٣ يناير ٢٠١١

مرارات

كاد يركع عند قدميَّ متوسِّلًا لي بأنْ أتنازلَ عن شكواي وقائلًا إنه لن يكررها أو يفعل شيئًا يضايقني أو يعتدي على حقٍّ من حقوقي أبدًا. كدتُ أشفق عليه، لكن طُعُوم المرارات السابقة تجمَّعتْ كلُّها في حَلْقِي. كنتُ مِنْ قَبْل أنظر إليه باحتقارٍ أو بتأفُّفٍ، مُقْنِعًا نفسي بأنَّني لا يجوزُ لي أنْ أنزلَ إلى مستوى تفاهاتِه وصغائرِه. لم يوقفه إهمالي له، بل جعله يتمادى في مضايقاته وطَمَعِه. لكنني عندما وجدتُه يسرقُ كتابي الذي أدرِّسُه في القسم نفسِه ويُزِيلُ غُلافَه ويضعُ عليه اسمَه، لم أستطع أن أحتمل سرقةَ نزيفِ رأسي، فكتبتُ شكواي مُرْفِقًا بها نسخة من كتابي الذي حصلتُ على رقمِ إيداعٍ له من قبل تحسُّبًا لمثل هذه المواقف ونسخةً من كتابي أيضا باسمه هو. قال:

- سأُفْصَلُ. سيُشرَّدُ أولادي. ستكون فضيحةً. مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا...

فدُستُ على قلبي الذي يريد أن يخونني، ونظرتُ إلى ذلك الزميلِ بكلِّ برودٍ وحيادٍ إنسانيٍّ وانصرفتُ بعيدًا عنه.

٢٣ يناير ٢٠١١

العريس على الباب

قالتْ: "العريس على الباب" وأخذتْ تروي قصَّةً طويلةً لم أكنْ أسمع منها سوى عبارة "العريس على الباب" كلَّ رُبْعَ دقيقةٍ تقريبًا. أحسستُ بهذه العبارةِ موسيقى تصويريةً لفيلمِ رُعْبٍ أخذَ ينتفضُ منه قلبي. وبالرغم من أنني لا أُعِيبُ على خَلْقِ الله، كانت ملامحُ تلك الأمُّ القزمةُ كأنها خارجةٌ لتوِّهَا من قصة عفاريتَ كانوا يخيفوننا بها قديمًا. ضغطتْ ملامحُها على قلبي الذي لم أحسُّ به في المكان، وشعرتُ بأنَّ ابنتَها الجالسةَ بجواري استدرجتْني لأعطيها درسًا في اللغة الإنجليزية. رأيتُ كلامَ الدرسِ يضيعُ هباءً وأنها لم تستدرجْني إلا لتُسْمِعَني هذه القصَّةَ وعريسَها المُصَوَّبَ نحوي. شممتُ الهواء من حولي يحترقُ، وكدتُ أختنقُ من العريس الذي يشفطُ كلَّ الهواءِ كأنفِ خنزيرٍ هائلٍ في قصَّةٍ تستدرجُ الخنازيرَ لإبرازِ رؤيتها[١]. فبترتُ الحصَّةَ، متعلِّلًا بأنني على موعدٍ مع أحد أساتذتي، ضاربًا بمقابلِ الحِصَصِ الذي كانتْ تماطلُني في دفعه عَرْضَ حاجتي إلى قُوتِ يومي.

---

[١] انظر قصة "سيرة أنف"، نشرت في مجموعتي القصصية (رائحة مأتم). القاهرة: دار التلاقي للكتاب، ٢٠١٠.

قررتُ ألا أذهب ثانيةً إلى مركز اللغات الذي تعمل به سكرتيرة، متغاضيًا عن أجرِ دورةٍ بأكملِها. وما أن خرجتُ إلى الشارع حتى أحسستُ بالهواء يتجدَّدُ وأنَّني أنقذتُ نفسي من أن أكونَ شبحَ عريسٍ.

٢٠ ديسمبر ٢٠١٠

موسيقى توجُّس

ضوءٌ يسقطُ على خشبةِ المسرحِ. موسيقى تعزفُ لحنَ توجُّسٍ. أيادٍ على الخشبة تتلمَّسُ أسلحةً في الخفاءِ. يدٌ تُشعل نارًا في كَوْمَةِ أوراقٍ. دخانٌ يصعدُ لأعلى الخشبةِ. تتدلَّى رشاشاتُ مياهٍ فوق الجمهور. يصوِّبُ ممثِّلٌ رصاصةٌ نحو الماء. يشتعلُ "الماءُ" في كلِّ الجمهورِ. يطفئُ أحدُهم نارَ ورقةٍ متبقِّية. يحني رأسه تحيَّةً للجمهورِ. تحيِّيه طقطقاتُ نارِ أجسامِهم. ينفجرُ رصاصٌ التهمتْه النارُ من أحدِ المَقَاعِدِ الأماميَّةِ. يصطدمُ بالأسلحة على الخشبة. تنفجر لتلتهمَ مَنْ يحيِّي الجمهورَ. ينسدلُ ستارٌ حديديٌّ ليفصلَ بين قاعةِ المسرحِ وخشبتِه. يعتلي المُخْرِجُ خشبةَ المسرحِ. يصفِّقُ لبقايا الممثِّلين الذين يدخلون من جانب خشبة المسرح. وينحنون جميعًا تحيَّةً لبعضِهم البعض.

١٠ نوفمبر ٢٠١١

واهنة بلا انقطاع

يدٌ مكسورةٌ ملقاة على الإسفلت. صاحبها رجلٌ في منتصف العمر. يتكئ جسمُه على الرصيف ما بين الموت والحياة. تمتد خلفه الأسلاك الشائكة كخلفيَّةٍ تكاد لا تُظْهِرُه في الصورة. وراءَ الأسلاك، يتضاحكون فيما بينهم على نكتةٍ أو شيءٍ من هذا القبيل. يشير بعضُهم إليه وسط كلامهم، ثم يكملون ضحكاتهم. تبدو الضحكات أقلَّ تواصُلًا إذ تميلُ إلى التَّقَطُّعِ أو البَتْرِ قليلا. تَصْدُرُ آهةٌ من الرجلِ لا يلتفت إليها أحدٌ. يفتح عينيه. ينظر أمامَه بامتدادِ الرصيفِ والميدانِ اللذين فُرِضَ عليهما حظرُ تجوالٍ. تجمعُ نظرتُه ما بين الانكسارِ والعمقِ. صوتُ نِقاشٍ أو خلافٍ خلفَ الأسلاكِ الشائكةِ. صوتُ خطواتٍ تقترب من الرجل. ينفجرُ صوتُ طلقةٍ من وراء الخطوات. تنقطَّعُ الخطواتُ فجأةً، ويصاحبُ انقطاعَها صوتُ صرخةٍ لجسدٍ يسقط على الأرض. يتحامل الرجلُ على نفسه وينظر للوراء. يبدو أنه يفكر في النهوض لفعل أي شيء يساعد به ذلك الذي سقط على الأرض. وما أن يبدأ جسمُه في الارتفاع قليلًا حتى تنهال عليه الرصاصاتُ ليسيلَ ما تبقَّى من دمِه على الرصيفِ وتمتدَّ آهتُه واهنةً بلا انقطاعٍ.

٩، ١٢ مايو ٢٠١٢

التباس

كان متعطِّشًا للقاءِ البحرِ الذي كان يبتعد كلما انتزع خطوةً له من بين أحضانِ الرِّمَالِ السائبةِ. كان ينظر وراءَه إلى النباتاتِ التي عشَّمَها المطرُ، لكنه في منتصفِ المسافةِ بين الغيومِ وجذورِ النَّبْتِ قطعَ خطواتِه كقاطعِ طريقٍ محترفٍ وانجرفَ نحوَ البحرِ.

كان البحر متعطِّشًا للقاءِ الصحراءِ. لكنَّ الغيومِ التي أخذتْ تَتَبَخْتَرُ في السَّمَاءِ خذلتْه، فظلَّتْ النباتاتُ حلمًا للبحرِ، وظلَّ هو غادرًا في نَظَرِها.

عندما أحسَّ بخطواتِه تنقلُ نفسَها بعيدًا عنه، أدركَ ضرورةَ التوقُّفِ، فربما لن يجدَ البحرَ، وهو متأكِّدٌ تمامًا من أنَّ النباتاتِ هناك في انتظارِه، في انتظارِ عتابِه، في انتظارِ لمستِه، في انتظارِ بئرٍ يحفرُه. فَتَيَمَّمَ. صلَّى ركعتينِ على عَجَلٍ لا يعرف إن كانتَا استسقاءً أم رجاءً أم تكفيرًا عن تسرُّعِه، واستدارَ عائدًا لنباتاتٍ تنتظرُه.

١ سبتمبر، ١٥ ديسمبر ٢٠١٠

مقاطع من يوميات راكب تاكسي

- أهلا بك في وطنك الثاني. ماذا يفعل الطلاب في هذي الكلية؟ زمان كانوا يتخرجون فنها يجدون وظيفة، وها الحين ما عادت فيه وظائف ولا شيء، وإن لقوا شيئًا فيكون خارج المدينة، ٢٠٠ كيلو، ٥٠٠ كيلو، وقد يكون أبعد من ذلك...أنت دكتور؟ تبارك الله، لا يبدو عليك شيء، الدكتور شعره شايب، وأنت ما في شعرة واحدة شايبة في رأسك، كيف تأخذون الدكتوراه عندكم في مصر؟ ...

***

- قربان الطالع
- وين في قربان؟
- عند صحارى طيبة
- أنت مهندس هناك؟
- لا، أنا دكتور في هذه الكلية.
- تبارك الله، أنتم يا مصاروة فالحون، دكاترة ومهندسون و... هنا ما فالحون، ما في دكاترة ولا مهندسون ولا شيء.

- لا، أبدا، يبعثون ها الحين الطلبة لأمريكا وبريطانيا واستراليا وكندا بعثات ليأخذوا ماجستير ودكتوراه، ويرجعوا يدرّسون هنا، يعني خمس سنين وتلقى بلدكم كلها دكاترة.

- وحتى لو طلعوا الخارج ما سيأخذون شيئا، لمَ لا تشتري سيارة؟

- لم أتعلم القيادة بعد، أنتظرُ إجازة نصف السنة كي أتعلم السواقة، وأطلّع رخصة

- أنا ممكن أعلمك السواقة، الحمد لله أسوق منذ عشرين سنة والحمد لله ما حدثت لي حادثة واحدة، والرخصة تروح تطلعها من تبوك لأنها هناك أسهل من المدينة، إلا إذا لقيت لك واسطة كبيرة، أكيد دكتور وتعرف واسطة، خذ رقم جوَّالي واتصل بي بعد الأسبوع القادم وأنا أعلمك ... ماذا تخرِّج كلية المعلمين هذه؟ هي كلية إعداد معلمين أم مدرسة أم ماذا؟

- كلية عادية مثل أي كلية.

- وكم عدد السنين فيها؟

- ٤ سنين مثل أي كلية.

- أيعطون رواتب للطلبة؟

- يعطون رواتب للطلبة الذين تقديراتهم أكبر من ٢.

- هل الكلية توفر سكن للطلبة الذين ليسوا من المدينة؟

- لا، لا يوجد سكن حتى الآن، الطلبة الذين من خارج المدينة يأتون بسياراتهم...

***

- أنت مصري؟
- نعم أنا مصري من الصعيد.
- تعرف مصطفى
- مَن مصطفى؟
- مهندس من الصعيد شغَّال معنا في الفندق.
- للأسف لا أعرفه لأن الصعيد كبير.
- أبغي أتعلم إنجليزي، تعلمني؟
- ماذا تريد في الإنجليزي بالضبط؟
- أبغي أتعلم أقرأ وأكتب وأتكلم في أي شيء بالإنجليزي.
- ممكن.

***

- يا أخي ما عادت هناك أخلاق ولا أدب، التليفزيونات الأجنبية علمت الناس قلة الأدب والأخلاق السيئة. قلت لأخويا سلفني فلوس ما رضي يسلفني شيئا، ومسك الفلوس في يده أمام عينيّ وقال لي لن أعطيك،

واحد جارنا كتب البيت باسم زوجته، وزوجته كتبته باسم ابنها، وباعه الابن، ولما إخوته اشتكوا، الأم أقسمتْ في المحكمة أنها باعت البيت لابنها وأخذتْ ثَمنه والمحكمة أخذت بكلام الأم...

-

٢٠ شوال ١٤٢٦

٢٢ نوفمبر ٢٠٠٥

ضريبةُ خروج

-١-

يعدو غيمٌ وراءَ غيمةٍ يراها متمرِّدَةً، قائلًا:

- لا بدَّ أن أُمْسِكَ بها!

تتبعثرُ أجزاؤه:

- لا يهم! فعلى الأقل سأجعلها حبلى بغيم آتٍ!

يسقط على الأرض:

- لا بأس! سأعود إلى السماء غيمًا جديدًا!

يَجْرِفُ النبتَ:

- ما لي تحولت إلى إعصار!!؟

تختبئُ نبتةٌ وليدةٌ تحتَ الطِّينِ!!

-٢-

يتلمَّظُ الطينُ، يَتَشَهَّى النعومةَ الواعدةَ، تأكلُ الرغبةُ شفاهَه، يتلمَّسُ أوراقَ النبتةِ، تبرقُ النبضاتُ الحارقةُ في أحشائه:

- لا بدَّ أن أتخلَّصَ من تلك الحُرْقَةِ قبل أنْ أجفَّ ولا أصيرَ أنا!

يتحسَّسُ ساقَها، تنتفضُ في دلالٍ، يبتسمُ، يتصلَّبُ، تتلوَّى على الأنغامِ الطينيَّةِ!

-٣-

تبرق نبضةٌ في ساقِها، تنتفضُ مذعورةً، يتذكَّرُ مائيَّتَه، تتذكَّرُ هوائيَّتَها:

- مكاني ليس تحت الأرض

تستجمعُ قواها، تقذفُ بنفسِها إلى الهواء!

-٤-

تهب عليها النسماتُ، نسمة تداعبها:

- أهلا بك في عالمنا

نسمة تلفحها:

- ما الذي جاء بك إلى هنا؟

نسمة تثلجها:

- لِمَ لَمْ تحتاطي للبرد؟

نسمة تُسقِط ورقة منها:

- مادامت سقطت، فلا تستأهل الحياة

-٥-

تتذمر للحظات:

- ما كل هذا؟

تبرق نبضات في ساقها:

- لِمَ كل هذه المتناقضات؟

نبضة تدفعها للمقاومة:

- مكانك هنا، لا تسمحي لأحد باقتلاعك.

نبضة تغلق أوراقها:

- داري على شمعتك، ستهدأ العاصفة يوما ما.

نبضة تحثها على المبادلة:

- سايري الجميع، اغتنمي كل ما أمامك

ونبضة تود إرجاعها لجذورها:

- إنه عالم فاسق، لا مكان لكِ فيه!

-٦-

تدور بين النبضات، وتقول:

- لا يهم، يكفيني أنني بجذوري، وأستنشق الهواء الطازج، ما دامت هذه ضريبة الخروج للنور!!

٢٠٠٦

جُحور

خرج صاحبُ زيٍّ من جُحره بعد أن صرختْ كلُّ الأيادي الواعدةِ الهادرةِ. نفخَ في صوتِه وضخَّمَه. نادى على كلِّ الجُّحور. اصطفُّوا حولَه وهم ينفضون عن أنفسهم الترابَ. قال لهم بعد أن نفض التراب عن زيه الرسمي:

- لا تحسبوا إنهم انتصروا علينا. أولاد... سيعودون عبيدًا لنا. كلها مسألة وقت لا أكثر. يطالبون بإقالتي، هل هذا كلام؟! أنا أترك لهؤلاء الرعاع البلد ليتحكموا فيها كما يشاءون؟! على جثتي وعلى جثث كل الباشاوات زملائنا. لن يتمكن أحد من أن يقضي علينا. أيادينا في كل شيء وفي كل شارع. وظهورنا محمية جيِّدًا. فلا تقلقوا. لا تقلقوا.

لكنه سمع فجأة أصواتًا هادرةً. وقبل أن يتبيَّنَ إن كانت حقيقيَّةً أمْ تخرجُ من أذنه، اختفى هو ومَنْ معه في جُحُورِهم.

٢٦ فبراير ٢٠١١

لوحة تكتيكية

صورة بعرض البلاد تُظهِرُ كَابًا ونياشينَ. تتحرَّكُ واجهتُها حركةً تكتيكيَّةً نحو الخلف. وتتقدَّم خلفيَّتُها بمارشٍ عسكريٍّ يؤدِّي التحيَّةَ للهواء المحروق. يزيحُ مقاعدَ كانتْ تصطفُّ في الواجهةِ، ويبعثرُها بحركةٍ مدروسةٍ كأنه يفكِّكها ويحطِّمها على صدى المارش العسكري.

تتحرك وجوهٌ من جانب اللوحة: تلمُّ الكراسي، تتراجع بها إلى خلفيَّةِ اللوحة، تصفُّها بالنظام الذي كانت عليه في الواجهة. يعلو المارش العسكري في واجهة اللوحة. تتحرك الجماهير التي كانت غاضبةً من ميدانٍ أو شارعٍ أو ساحةٍ في زاويةِ اللوحةِ، تهتف بالثورة والغد والخونة الراحلين، تَرْجُمُ ببعض الحجارةِ في اتجاهاتٍ متناثرةٍ، لا تصيب أحدًا.

يحرِّكُ المُخْرِجُ زغاريدَ من جهة اليمين، ثم زغاريد من جهة اليسار. تعلو طائرة في مقدمة اللوحة، تلقي على الجماهير المحتفلة بالبالونات والهدايا.

يتصدَّر اللوحة صاروخٌ يُطلَقُ بالريموت من خلفية اللوحة احتفالًا بالعهد الجديد. تُشرق الشمسُ قاتمةً كأنَّ نورَها لا يضيء، وكأن إشراقَها عزاءٌ في مأتمٍ لا يَظْهَرُ صاحبُه.

٢٦ يونيو ٢٠١٢

سيارةٌ تغيِّرُ ألوانَها

كانت السيارة نذيرَ شؤمٍ. لا يمرُّ يومٌ إلا وتَقْتُلُ مَنْ يَرْكَبُها. عندما صار تكرارُ القتلِ حقيقةً مؤكَّدَةً تشهد عليها الدماءُ والأطفالُ اليتامى والأراملُ رجالًا ونساءً، نفى الناسُ هذه السيارةَ إلى جانب الطريق. نزعوا إطاراتِها. كتبوا عليها بألوانٍ لا تخطئُها العينُ عباراتٍ رافضةً ومحذِّرَةً. لكنَّهم في الصباح لم يجدوا لها أثرًا. ولم يَدُلّهم رجالُ نقطةِ التفتيشِ على أثرٍ يتتبَّعونه في الوصول إليها أو إبادتها أو تحذير السائق من وَبَالِ قيادتها.

وفي صباح يومٍ ابتسمَ رجالُ نقطةِ التفتيشِ لسيَّارةٍ بلونٍ مختلفٍ تسيرُ مزهوَّةً على الطريق، كاملةَ الإطاراتِ، لا تحملُ عباراتٍ ولا تحذيرًا ولا شفقةً على السائق. سيارة أخذتْ تعيدُ إنتاجَ الموتِ على الطريق، كأنَّ السارقَ يلعبُ لعبةً على شاشةِ كومبيوتر. تسيرُ السيَّارَةُ مزهوةً وتُلْقِي بتحيَّةِ الخيرِ والسلامِ والنورِ كلَّما مرَّتْ بنقطةِ التفتيشِ.

١٤ يونيو ٢٠١٢

انفجار شجرة الصبار

شجرةُ صَبَّارٍ خاصمَها المطرُ. ارتحلَ أبناؤها وراءَ صبرٍ لا يشبعهم. دموعُهم بارودٌ يفجِّر آلامَهم. أياديهم لا تلتقي في الصخر شيئًا. معاولهم لا تهدُّ إلا أجسادَهم. وعندما لاح الاستسقاءُ في رؤوسٍ وليدةٍ، ابتهلتِ الأيادي. زرفتْ دمعًا نيليًّا. رأتْ بين إغماضِ العينِ والرجاءِ نِيلًا يفورُ.

ابتهلتِ العيونُ عندما اسودَّتِ السماءُ بالغيومِ. وبدلًا من أن ترقصَ ابتهاجًا بالمطرِ وتزرعَ نطفتَها في التُّرَابِ الْمُتَشَوِّقِ، حملتْ معاولَها وعاودتْ حَفْرَها في الصخر.

تضاحكتِ الغيومُ فيما بينها: فكيف لها أن تُخْبِلَ أرضًا بلا نطفة؟ وكيف لها أن تستجدي حضنًا باردًا وأيادي الفتيان عادتْ كما كانتْ كأشغالٍ شاقَّةٍ مؤبَّدَةٍ لا تعرفُ للطمي طعمًا ولا تصعدُ دَرَجَ المطرِ؟ واصلتِ الغيومُ طريقَها.

انفجرتِ الرغبةُ في جسدِ شجرةِ الصبَّارِ لتنقسمَ مئاتِ أشجارٍ تحنُّ إلى بعضها، تحنُّ إلى المطر، تلعنُ أبناءً تركوها ليكملوا دائرتَهم الأبديَّةَ ما بين الصخرِ والدُّموعِ الحارقةِ، كأنَّ الاستسقاءَ كانَ رحلةً، كأنَّ المطرَ كانَ مَنْظَرًا يستروحون به ثم يكملون أشغالَهم الشاقَّةَ المؤبَّدَةَ. **٢٨ سبتمبر ٢٠١١**

استنهاض

قال محتدًّا:

- لا نحملُ شيئًا لأحدٍ.

ونظر إلينا من جانب جلستِنا في الميدان نظرةً طويلةً مليئةً بالتحدِّي والاستنهاضِ. ابتسمتُ عندما لم تخدعْني حدَّةُ نبرتِه ولم تشوِّشْ على ما تقوله نظرتُه. وعندما تطلَّعتْ إليه كلُّ العيونِ تشجيعًا أو انتظارًا أو ترقُّبًا، ابتسمَ، ثم قال:

- كلٌّ منا يُخْرِجُ ما في عزيمتِه ويقذفُ بها في رحمِ الوطنِ.

وشمّر كُمَّه. ونظرًا لأنَّ الماءَ الذي كان معنا قليلٌ جدًّا ولا يكفي حتى الشرب، تيمَّمَ المسلمون منَّا والتفَّ حولَنا المسيحيُّون كجدارِ حمايةٍ تحسُّبًا لأيِّ هجومٍ، وبدأنا في الصلاة، ثم دعونا الله أن يواصلَ تَحفُّزَ عزائمِنا. لكننا لم نستطع أن نكمل صلاتنا، إذ كان علينا أن نقطعها حتى نصدَّ هجوما كان ينتظر صلاتنا.

١، ٤ مايو ٢٠١٢

لأول مرة

رائحةُ مطرٍ تقتحمُ أنفي. تشدُّني للنافذةِ. لا أرى سُحُبًا ولا وعدًا ولا مطرًا. لا أرضَ مبتلَّةً ولا شجرةَ مُغْتَسِلَةً ولا سيارةَ عبثتْ قطراتٌ بالغُبَارِ فلطَّخ زجاجَها. لكنَّ الرائحةَ مازالتْ تناديني. لا أعرف إن كنتُ أغويتُها فحلَّتْ بأنفي واحتلَّتْها، أم أنها تعاتبُني على يومٍ بزغَ من ذاكرتِها لم أتهيَّأ فيه للمطر. أقفُ حائرًا برغم زُكامي وبرغم أنفي التي أعرف أنها لا تميِّز الآنَ بين الروائحِ.

رائحةٌ كالمطَّاطِ تشدُّ أنفي. فأجدُني أقفُ عاجزًا في النافذة. لا أستطيع أن أُبْصِرَ نهايةَ أنفٍ لي يتطاولُ ليعانق السماء، ولا أستطيع أن أفسِّر رائحةَ مطرٍ تلتصق بيدي. أعطسُ فجأةً كأنَّ الحياةَ دبَّتْ في أنفي لأوَّلِ مرَّةٍ. تقفز النجومُ بعيدًا متضاحكةً ولا يحتملُ صدري نَفَسًا بِكْرًا. عندما أعاندُه وأحبسُ النَّفَسَ، أنتفخُ وأطيرُ لأعلى كأنني سأُمْطِرُ عندما أستوي على مطري.

عندما أستوي في السماء، يطرح مطرٌ رائحةَ البحرِ والغبارِ والشجرِ، ويُسكنني بوادي نهرٍ يُفيضُنِي.

١٢ نوفمبر ٢٠١١

بذور مطر

هل كنتُ مغيَّبا إلى هذا الحدِّ؟ أم أنني صرتُ جزءًا من روحِ الميدانِ لأتحوَّلَ إلى نغمةٍ في تغريدتِه الجنائزيَّةِ؟ فها أنا أستفيقُ فأفاجأ بنظراتٍ من حولي تُصَادِقُ الغَدْرَ، عيونٌ يملأها التَّجَهُّمُ وكأنني عدوُّها الأولُ وقاتلُ أهلها أجمعين.

قبل غيبوبتي المفتَرَضَةِ أو تصفيةِ جسدي، كانت كلُّ الوجوه هنا وجهًا واحدًا، لا تستطيع من فَرْطِ الألفةِ أن تفرِّق بين غضبِ وجهٍ ووجهٍ، بين ابتسامةِ وجهٍ ووجهٍ، بين حماسِ يدٍ ويدٍ، بين تَطَلُّعِ عينٍ وعينٍ، فكانتْ كلُّ الوجوه بذورَ مطرٍ.

لكنَّ العينَ المتجهِّمةَ بجانبي الآن لا تحملُ إلا عيونَ ماءِ نارٍ يمكنها أن تنزعَ وَصَلَاتِ روحي، أن تقتلعَ وصلاتِ نغمةٍ من تغريدةٍ جنائزيَّةٍ. كنتُ أتمنى أنْ أَكُونَ في كابوسٍ لأُغْمِضَ عينيَّ في المنام كي أنام، لكنَّ عينيَّ تظلان مفتوحتينِ وتظلُّ العيونُ متجهِّمَةً، وتنقلُ تجهُّمَها من النظرة إلى الرشقِ بالسكاكينِ.

أفرُّ إلى وسط الميدانِ في انتظارِ وجوهِ أصدقائِه، وأتسلَّى بأنْ أفكِّكَ نغماتِ تغريدتِه، فربما نستطيع أن نحوِّلَ الجنازةَ إلى عُرسٍ، ونحوِّل العيونَ المتجهِّمةَ إلى سُحُبٍ تقذفُنا ببذورِ مطرٍ.

٩ ديسمبر ٢٠١١

شاعرة

قالتْ لي فجأةً:

- هل تراني أم أن نظارتَكَ ترسمُ صورةً أخرى في عينكَ، صورةٌ ليستْ لي وعينٌ ليستْ لكَ الآن؟ لِمَ تُخَبِّئُ صورتَكَ خلفَ وجهٍ يرسمُ تكشيرةً عندما يراني وشفاهٍ تعصرُ ليمونَ العالَمِ لتبتسمَ لدُعابتي؟

احترتُ في كلامها، إذ أعجبتْني صياغتَه واستغربتُ عمقَه وشاعريتَه وامتلاءَه بالمرارةِ والأسى. لو كنتُ قرأتُه في كتابٍ لدمعتْ عيني. لكنني لم أدمعْ. ازداد استغرابي، فقد كنتُ أعتقد أنني حسَّاسٌ وأنني قادرٌ على التقاطِ ألمِ الناسِ والتعبيرِ عنه.

اقتربتُ منها واحتضنتُها. حاولتْ أن تراوغَ حضني وتحبسَ دمعةً. لكنَّ الدمعةَ تمرَّدتْ عليها. أحسستُ بدفءِ حضنِها وببرودةِ صدري. أدركتُ أنها متلهِّفَةٌ على حضني كأنها تحاول أن تتوغَّلَ في ضلوعي وتَسْكُنَ صدري، وفي الوقت ذاته أدركتُ حِيَادِي وانشغالي بوجوهٍ غائبةٍ وقراءاتٍ قديمةٍ. فاعتصرتُها بحضني وقررتُ أن أعيدَ كتابةَ حياتي. تراجعتْ للوراءِ قليلًا وفتحتْ عينيها قائلةً:

- أتراني الآن أم أنني لا بدَّ أن أكونَ شاعرةً حتى تراني؟

١٧ نوفمبر، ١٥ ديسمبر ٢٠١٠

مكافأة

كنتُ أقف أمام المدرسة انتظارًا لنزول بنتي. نادى تلميذٌ من الفصل بالطابق الثاني على ولدٍ يقف أمام المدرسة متكئًا على إحدى السيارات:

- يا عبد الله تعالَ.
- أنتظرُ أختي هنا.
- تعالَ افرحْ معنا. قمنا بثورةٍ وطردنا مِسْ الإنجليزي.

اكتسى وجه عبد الله بسعادة تتراقص في عينيه وصعد إليهم على الفور. وعندما نزلتْ ابنتي، سألتُها:

- هل قمتن بثورة على أستاذة اللغة الإنجليزية؟
- ما معنى ثورة يا بابا؟
- إذا أخطأ أحد في حقكِ أو ضربكِ لا تسكتين له.
- أستاذة الرياضيات وضعتْ علامة "صح" على مسألة أخطأتُ فيها، فشكوتها للمديرة.

ربَّتُّ على كتفها ودخلتُ بها إلى الدكان المجاور للمدرسة لأشتري لها بعض الحلوى.

٢٣ يناير ٢٠١١

وثالثتهما القُرْبَةُ

قلتُ له:

- يا غريب.

وقبل أن أُكملَ ندائي، أشار إليَّ بإصبع يده مبتسمًا وقال مُقَاطِعًا:

- في الكون يا قلبي[١].

ضحكتُ وضَحِكَ وسلَّمنا على بعضنا بحرارةٍ كأنَّنا نعرفُ أحدَنا الآخر قبل أن نُولَدَ. قلتُ له وأنا أحتضنُه بشدَّةٍ:

- كيف تكون غريبًا وكيف أكون غريبًا وغربتُنا تجمعُنا؟

انتزع نفسه من حضني، راسمًا على وجهه علاماتِ صرامةٍ وحكمةٍ متجهِّمةٍ كتلك التي يرسمها بعضُ المثقفين على وجوههم، قائلًا في سخريةٍ لا أدري إن كانت سخريةً من الملامحِ التي يرسمها على وجهه أم سخريةً من كلامِه ذاته:

- ما اغترب اثنان إلا وكانت القُرْبَةُ ثالثتهما.

وابتعدتُ وابتعدَ، دون أن يعرف أحدُنا للآخرِ اسمًا.

٢٢ يوليو ٢٠١٢

---

١ "يا غريب في الكون يا قلبي"، مقطع من أغنية للفنانة المصرية "حنان ماضي".

حراسة!!

- المهم أنَّ المُحَكِّمِينَ هناك.
- هنا أم هناك؟
- هنا محامون من الداخل والخارج في نفس الوقت.
- الداخل والخارج؟! يبدو أنك تشرح الجهاز التنفسي. نَفَس خارج. نفس داخل.
- وربما نفس داخل. نفس خارج.
- يجوز. الاحتمالان متساويان.
- لكننا لا نتساوى.
- طبعا. كل منا يعرف وزنه جيِّدًا.
- هل نحن في المذبح؟ آسف. تبدو فكرة جيدة. كلنا في المذبح. لكن، مَن سيأكل كل هذه اللحوم؟
- لست أدري. لكنني لم ألاحظ أي وحش في هذه الصحراء.
- أنا لاحظتُ. لكنني عندما كنتُ أركِّز بصري على عيونها كانت تبتعد بدون تذمُّر.
- متى حدث هذا؟ ألم نكن سويا؟

- ألم تنم وتتركني وحيدًا فوق رأسك؟
- نمنا سويًّا واستيقظنا سويًّا.
- يبدو أنك لا تشعر بنومك عندما تنام؟
- والله العظيم لم أنم!
- والله العظيم نمتَ!
- والله العظيم لم أنم!
- لا بدَّ أن يكون أحدُنا كاذبًا والآخر صادقًا.
- وربما يكون أحدُنا صادقًا والآخر كاذبًا.
- ولماذا صادق قبل كاذب؟
- ولماذا كاذب قبل صادق؟
- لن نضيع كل وقتنا الثمين في هذا الجدل العقيم. سنسأل المحكِّم في هذا؟
- المحكم الخارجي أم الداخلي؟
- حتى نعود إلى المحكم الداخلي ربما نضيع في الطريق. وربما لا نجدها.
- لكنك تقول إن المحكم الخارجي قريب منا في هذا المكان.
- وبالرغم من أنني لم أقل ذلك، إلا أنه قريب فعلا. المحكمون هنا.

- استيقظْ يا غبيّ
- أنا لستُ غبيًّا. نم يا غبيّ
- أنا لستُ غبيًّا. أكملْ نومك يا غبيّ.
- إيّاك أن تغفلَ عينُك لحظة عن حراستي.
- نعم!! من أنتَ حتى أحرسَك؟!!
- أنا المحكّم الداخلي والمحكّم الخارجي يا غبيّ.

ديسمبر ٢٠٠٩

خطوةُ دفءٍ

كان البرد ينقش أحلامَه بالإِبَرِ على جسمي، وكنتُ أقفُ في العراءِ والظَّلامِ حارسًا على أرضي، فبالأمس سُرِقَتْ بقرةٌ ولم نجدْ لها أثرًا، وكأنَّ مَنْ سرقها أكلَها حيَّةً في مكانِها، لذلك أطفأتُ مُوَلِّدَ الكهرباءِ ولم أشعلْ نارًا أمام المَعْلَفِ وسط الصحراء المترامية التي تجاهد كي تتغلَّبَ على نفسها وتُخْرِجَ ما في أرحامِها من خضرةٍ وحياةٍ. قلتُ:

- فليكنْ جزء من إعمارِ الأرضِ على يدي، فلتكنْ هذه الرمالُ خضراءَ كما أرادتْ، فليكنْ هذا الموتُ حياةً، فلأكنْ أنا هنا أتركُ بصمتي على أرضٍ تحنُّ إلى أُنْس البَشَرِ.

وبالرغم من أنَّني لم أستطع أن أفهمَ كيف يستحلُّ أحدٌ عَرَقَ سنينَ، أخذتُ حذري وربضتُ له أمام المعلف. فمَنْ جاء معتديًا سأُرْدِيه قتيلًا لتبتلعَه الأرضُ كما ابتلعَ هو البقرةَ.

لم تستطعْ أفكاري وفورانُ دمي أن يطردَا البردَ أو على الأقل يجعلاه يتراجع قليلًا. من بعيدٍ، أبصرتُ جَارِي يُشْعِلُ نارًا بجانب بِئْرِه ليراقبَ أيةَّ خطوةٍ غريبةٍ أو يتسمَّعَ صوتَ حيوانٍ خبيثٍ. وبالرغم من أنَّ النارَ كانت تبعدُ عنِّي ربعَ ساعةٍ على الأقلِّ، بدأ الدفءُ يتسلَّلُ إلى جسمي إلى أن تمكَّنَ من البردِ وأراده قتيلًا.

١ ديسمبر ٢٠١١

نبتة تبتسم لي

ابتسمتْ النبتةُ لي. أحسستُ بها تتمايل فرحًا لاقترابي منها بالرغم من أنها بجانب سور البيت ولم يكن هناك مجال لأيِّ هواءٍ يحرِّكُها. كانت تتمايلُ من تلقاءِ نفسها كطفلةٍ صغيرةٍ تجري نحو أبيها أو أمِّها القادمةِ من خارج البيت للتو. انقبضَ قلبي فجأةً عندما وقعَ نظري على الخضرةِ الباهتةِ. وأحسستُ بالنَّبْتَةِ تجذبُ نظري أكثر إلى بعض الحشائشِ التي تَتَكَتَّلُ حَوْلَ جذرِها لتمتصَّ روحَها ولا تتركَ لها مجالًا للينعان. ثَنَيْتُ رجلي ومَدَدْتُ يدي واقتلعتُ هذه الحشائش لأجدَ تحتها بعض الحصى الذي ربما كان فِرَاشًا تُعَسْكِرُ فوقه الحشائشُ. فأزحتُ الحصى وغرفتُ بيدي غرفتينِ من ترابٍ بجانب مجرى الماء وفَرَّغْتُهما مكانَ الحصى والحشائشِ، ثم أحضرتُ ماءً وطهَّرتُ به موضعَ جُرْحٍ جعلَ النَّبْتَةَ ترتبكُ وهي تحاول أن تتأقلم على التراب الجديد.

٢٠ أكتوبر ٢٠١٢

منفى

في المنفى، كان صاحبُنا شريدًا وحيدًا يعاني الغربة والأرق. ومنفاه لم يكن خارج الوطن، بل كان في سجنٍ بعيدٍ في أعماق الصحراء يتجرَّعُ فيه مرارةَ التصحُّرِ والقفرِ. ولَّما حاولَ أن يتَّصِلَ بي وأخبرني أنه يموت بعد أن طعنه أحدُ الموتورين، قطعوا عليه الأسلاك ومثَّلوا بجسده: قطَّعوه قِطَعًا جَدَّ صغيرةٍ وبعثروها في أرجاء البلدان.

استلهم أحد أصدقائنا وأصدقائه – وهو عاشق للتاريخ الفرعوني ومتخصص فيه – روحَ إيزيس الخالدة، وكان قد سبقَنا إلى ذلك، وأخذ يجوب البلدان يجمِّعُ أشتاتَ صاحبِنا. كانت الطيور تصاحبه في رحلة الجمع هذه وكانت تدلُّه على أماكن كثيرة...

وبعد أن جمع الأشتات وأعاد ترميمها خِلْسَةً، أعددْنا له ضريحًا عظيمًا يليق به وبأمثاله، بالطبع كان هذا المكان سِرِّيًّا غير معروف إلا لأصدقائه وقرائه، وكانوا يزورونه جميعا، بل ويلتقون عند قبره: يعقدون الندوات الجلسات والمناقشات... بعضهم كان يكتب شاهدًا على قبره في لوحة جميلة تدل على سيمفونية التلقِّي والإبداع...

١٩٩٧

اختناق

ظلام، الهواء راكد، أرقد، أكاد أختنق، يراودني الأمل في الخروج، كثرة الجلوس أفقدتْني الكثير، أتماسك، أللم جسدي المبعثَرَ، أحاول النهوض، تخونني قواي، أحاول وأحاول، أنهض، أتحسَّسُ طريقي إلى الباب، مُوصَد، مغلَّف بالتراب، فترة طويلة نسيتُ خلالها نفسي وكل شيء، بل لم أحسّ بالهواء الراكد والظلام الدامس، فهو أغلق الباب بمئات الأقفال، لا أستطيع فتحها...

أدقُّ البابَ بكلِّ قواي، لعلّ أحدًا ينقذني، أدقُّ وأدقُّ، ينفدُ صبري، أختنق، لا أستطيع الاستمرار، أتوق إلى الهواء المتحرك... والنور، أستجمع قواي، الباب لا ينفتح، أُلْقِي بكلِّ ثقلي عليه، يضطرب، أكرر إلقائي، ينفتح، أجدني في حجرة أخرى أكثر إظلاما، أسمع أصوات الفئران، تتناغم معها أصوات الأبرص، يساعدها فحيح الثعابين، وتلحن لها الصراصير...

أتحسس الحائط، مفتاح كهربائي مكسور، أرجع، أتحسس، شباك، أدق بعنف، أصرخ، أستغيث، أدق، يُفتح الشباك، أجد من يدق المسامير في عينيّ....

٦ مايو ١٩٩٣

سفور

عندما لمحَ البسمةَ تتراجعُ بألمٍ من على شفتيها، أدرك أن هناك مستجدَّاتٍ رجعيَّةٍ. قَبْل الآن كان كلُّ شيءٍ يُبَشِّرُ بأنَّها ستعاند تجهيلَها والمشاكلَ المعوقات. قالت وهي تحاول أن تتمسَّكَ بأهدابِ جسارةٍ غائبةٍ:

- فلنتوقف.

- ماذا جرى؟!؟!

- فلنتوقف

قالتها مرة ثانية وهي تحاول أن تُبْعِدَ عينيها مخافةَ أن تلتقي العيون ....

لما انصرفتْ لاحظَ.... دمعةً تسقط في الطريق أمامها ولاحظها هي تتعثَّرُ في خطوتِها. تراءتْ أمام عينيه صورةُ والدتِها وهي تقهقه بسخريةٍ سافرةٍ مُنْتَشِيَةٍ. سار في نفس الطريق، حاول أن يتجنب الدموع المسفوكة، تجنَّبَ التعثُّرَ في خطواته، أسرعَ الخطى ليكون وراءها يساندها، يحميها من التعثر ويحصِّنها ويحصِّن نفسه ضدَّ الضحكاتِ الساخرة عله في يوم.....

١٩٩٦

جمال الجزيري في سطور

ولد جمال محمد عبد الرؤوف محمد (جمال الجزيري) في ٢ أغسطس ١٩٧٣ بجهينة، محافظة سوهاج، مصر. قاص وشاعر وروائي ومترجم وناقد ودكتور جامعي مصري. بدأ مشواره الأدبي في عام ١٩٩١. تخرج في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بسوهاج ١٩٩٥. حصل على الماجستير من قسم اللغة الإنجليزية بآداب القاهرة ١٩٩٨عن رسالة بعنوان "تحولات المنظور في شعر روى فولر١٩٣٦ – ١٩٦١"، ثم على الدكتوراه من قسم اللغة الإنجليزية بآداب عين شمس عام ٢٠٠٢ عن رسالة بعنوان "جوانب السرد في شعر روجر ماكجوف ١٩٦٧ – ١٩٨٧". يعمل منذ عام ١٩٩٩ بقسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية بالسويس، جامعة السويس بمصر وانتقل بعدها ليعمل بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في نفس الجامعة، ويعمل حاليا بقسم اللغات والترجمة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة. بدأ نشر دراساته النقدية في عام ١٩٩٩ بدراسة بعنوان "مشروعية دراسة عتبات النص"، وبدأ نشر كتبه الأدبية في عام ٢٠٠١ بمجموعته القصصية فتافيت الصورة، وقبلها بدأ نشر كتبه المترجمة عن اللغة الإنجليزية في المشروع القومي للترجمة (المجلس الأعلى للثقافة، مصر) ثم في المركز القومي للترجمة، ومنذ تلك السنوات توالت أعماله في فروع القصة والترجمة والشعر والنقد الأدبي والرواية والمسرح، بالإضافة إلى كتبه ودراساته باللغة الإنجليزية. وحصل على عدة جوائز في القصة القصيرة والشعر والنقد الأدبي. نشر حوالي ٥٠ كتابا ورقيا ما بين القصة والشعر والرواية والنقد الأدبي والترجمة. ونشر حوالي ٩٠ كتابا إلكترونيا ما بين القصة والشعر والهايكو والهايبون والرواية والمسرح والنقد الأدبي والترجمة.

وهو عضو هيئة تحرير مجلة European Scientific Journal التي تصدر في البرتغال، كما أنه رئيس تحرير مجلة International Journal of English Literature and Culture التي تصدر في نيجيريا.

الاسم بالكامل: جمال محمد عبد الرؤوف محمد

اسم الشهرة والنشر: جمال الجزيري

العمر: ٤٦ سنة

الجنسية: مصري

المهنة: دكتور جامعي، تخصص الأدب الإنجليزي، كلية الآداب بالسويس، جامعة السويس، وحاليا: أستاذ مشارك الأدب الإنجليزي في قسم اللغات والترجمة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة.

رقم الهاتف: ٠٠٩٦٦٠٥٣٢١٠١٥٤٤ (السعودية) (واتساب واتصال).
٠١٢٢١٠٩٠٩٥٥ (مصر؛ اتصال) و٠١١١٦٤٩٠٩٥١ (مصر؛ واتساب)

رابط صفحة الفيسبوك:

https://www.facebook.com/gamal.elgezeery.73

البريد الإلكتروني: elgezeery@gmail.com

جـوائـز

* المركز الأول في القصة القصيرة من جامعة جنوب الوادي ١٩٩٥

* المركز الثالث في القصة القصيرة، المسابقة المركزية لهيئة قصور الثقافة ١٩٩٦ – ١٩٩٧ عن مجموعة بعنوان أساطير.

* المركز الثالث في النقد الأدبي، المسابقة المركزية لهيئة قصور الثقافة ١٩٩٩ – ٢٠٠٠، عن دراسة بعنوان الرؤية الحضارية للإبداع عند شكري عياد.

* جائزة ناجي نعمان الأدبية لعام ٢٠٠٩ (جوائز الإبداع) عن ديوان شعر بعنوان وطن بطعم الأسئلة.

* تنويه لجنة التحكيم في الدورة السادسة لجائزة دبي الثقافية للإبداع (٢٠٠٨-٢٠٠٩) بمجموعة قصصية له بعنوان وجوه الطمي.

* جائزة عبد الغفار مكاوي للقصة القصيرة ضمن جوائز اتحاد الكتاب (مصر) ٢٠١٠، عن المجموعة القصصية غلق المعابر.

* وسام التميُّز من الدرجة الأولى في القصة القصيرة في العالم العربي لعام ٢٠١٠ عن المجلس العالمي للصحافة عن قصة بعنوان "الرئيس الجديد".

* جائزة الدكتور زكريا الملكاوي في الشعر عن قصيدة بعنوان "امتلاء"، أبريل ٢٠١١.

* جائزة منف للرواية العربية الإلكترونية عن رواية بعنوان "بعد الطوفان"، ٢٠١٧.

* جائزة دار السعيد للنشر والتوزيع، فرع الرواية، عن رواية بعنوان "طريق الخروج"، ٢٠١٩.

إصدارات

١- أصدر إحدى عشرة مجموعة قصصية: فتافيت الصورة (٢٠٠١)، بدايات قلقة (٢٠٠٤)، نقوش على صفحة النهر (٢٠٠٩)، غلق المعابر (٢٠١٠)، رائحة مأتم (٢٠١٠)، اشتعال الأسئلة الخضراء (٢٠١١)، الطريق إلى الميدان (٢٠١١)، كاميرا ونظرة عين (٢٠١٧)، صورة واحدة تكفي (٢٠١٨)، اضحكْ يا ولدي (٢٠١٨)، عيون جريحة (٢٠١٨).

٢- كما أصدر أحد عشر ديوانا شعريًّا: لا تنتظر أحدًا يا سيد القصيد (٢٠٠٩)، حفل توقيع (٢٠١٠)، ونظلُّ على الإشراق (٢٠١٠)، أصوات نهر قديم (٢٠١٠)، خارطة المطر (٢٠١٠)، أسفار سيدة النهر (٢٠١١)، بنت النهار (٢٠١١)، ميدان المرايا (٢٠١١)، نظراتُ روحي (٢٠١٨)، جذور إشراق (٢٠١٨).

٣- أصدر مجموعة روايات قصيرة: شوط أول: ست روايات قصيرة (٢٠١٨).

٤- أصدر مجموعة نصوص هايبون: طواحين الكلام (٢٠١٨).

٥- أصدر عدة كتب في النقد الأدبي: الحوار مع النص: جماعة بدايات القرن نموذجًا (٢٠٠٢)، الإبداع والحضارة عند شكري عيَّاد (٢٠١٠)، وظائف المكان وجماليّاته في رواية فساد الأمكنة لصبري موسى (قيد الطبع في هيئة الكتاب، ٢٠١٩). كما أصدر عدة كتب إلكترونية في النقد الأدبي: الأدب والثورة: دراسة في

رواية قُشتمر لنجيب محفوظ (٢٠١٥)، قراءة الثورة بأثر رجعي: دراسة في قصائد خديجة للسمّاح عبد الله (٢٠١٥)، الزمن ودلالاته في شعر السمّاح عبد الله (٢٠١٥)، تجلّيات الزمن في ديوان مديح العالية للسمّاح عبد الله: دراسة ومعجم (٢٠١٥)، مقدمة نقدية في قصيدة الهايكو (٢٠١٦).

٦- وأصدر كتابا إلكترونيا عن العامية المصرية: كلمات وتعبيرات مصرية: مقالات ومعجم مصغَّر في اللغة والثقافة (٢٠١٦).

٧- وأصدر نحو عشرين كتابا مترجما من الإنجليزية إلى العربية ومعظمها صادر عن المركز القومي للترجمة: أسطورة بروميثيوس في الأدبين الإنجليزي والفرنسي (جزءان) (٢٠٠١)، أقدّم لك الذهن والمخ (٢٠٠١)، سحر مصر للرحالة الإنجليز (٢٠٠٢)، أثدّم لك كافكا (٢٠٠٣)، أقدم لك تروتسكي (٢٠٠٣)، أقدم لك فرويد (٢٠٠٣)، أقدّم لك بارت (٢٠٠٣)، اليهودية أيديولوجية قاتلة: التاريخ اليهودي وسطوة ثلاث آلاف سنة (٢٠٠٣)، أقدّم لك علم العلامات (٢٠٠٥)، أقدم لك الحركة النسوية (٢٠٠٥)، أقدّم لك ما بعد الحركة النسوية (٢٠٠٥)، أقدم لك القتل الجماعي (المحرقة) (٢٠٠٥)، أقدّم لك التحليل النفسي (٢٠٠٥)، أقدم لك النظرية النقدية (٢٠٠٥)، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي. الجزء الرابع: القرن الثامن عشر. المجلد الأول (٢٠٠٦)، رواية السيد (٢٠٠٦)، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي. الجزء الثامن: من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية (٢٠٠٦)، معجم دراسات الترجمة (٢٠٠٧)، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي: المجلد الثالث: عصر

النهضة (٢٠١٥)، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي: المجلد الرابع: القرن الثامن عشر: الجزء الثاني (٢٠٠٩).

٨- كما قام بمراجعة ثلاثة كتب في الترجمة صادرة عن المركز القومي للترجمة: فندق الأرق (ترجمة أحمد شافعي: ٢٠٠٤)، وجه أمريكا الأسود: وجه أمريكا الجميل (ترجمة أحمد شافعي: ٢٠٠٥)، رواية السيد لثريا أنطونيوس (ترجمة جمال الجزيري ومحمود حسب النبي: ٢٠٠٦).

٩- وأصدر ثلاثة كتب بالإنجليزية في دور نشر ألمانية وهي:

1- Elgezeery, Gamal. *Narrative Aspects of Roger McGough's Poetry 1967-1987: A Study of the Intersection of Poetry with Fiction*. Germany: VDM Verlag Dr. Müller (2011)

2- Elgezeery, Gamal. *Human Objectification in Carol Ann Duffy's The World's Wife*. Saarbrucken (Germany): Lap Lambert Academic Publishing, 2014.

3- Elgezeery, Gamal. *Little Red Riding Hood: From Orality to Carol Ann Duffy*. Saarbrucken (Germany): Lap Lambert Academic Publishing, 2014.

١٠- كما نشر عشرات المقالات والدراسات بالعربية والإنجليزية، ونشر عشرات الكتب الإلكترونية.

الفهرس

لمسة نهائية _____ ٥

التَّطَهُّرُ بالرَّجْمِ _____ ١٤

على بالي _____ ٢٠

كيدُ الرجالِ _____ ٢٤

أين أنا والياسمين؟ _____ ٢٦

اعتصار _____ ٣٠

أمام الحصان _____ ٣٣

مرارة أوراقٍ _____ ٣٥

لغة النعناع _____ ٣٨

شَاهِدُ قطار _____ ٤١

تخبُّط _____ ٤٢

هيرا _____ ٤٤

كيريااليسون _____ ٤٧

بذرة ثورة _____ ٤٩

وقودُ محرقةٍ _____ ٥١

تعميد _____ ٥٣

خذني معك _____ ٥٤

طريقهم _____ ٥٥

ألم الأرض _____ ٥٦
اخلعي حذاءكِ _____ ٥٧
عيون موقوتة _____ ٥٨
رقصةُ تَحدٍّ _____ ٦٤
مطرٌ تُعجزُه نارٌ _____ ٦٥
مُخْبِرٌ تائه _____ ٦٧
مفجِّر الياسمين _____ ٦٨
عامل المنجم _____ ٦٩
مريم _____ ٧٠
وعد _____ ٧١
مُحَكِّم _____ ٧٢
مرارات _____ ٧٣
العريس على الباب _____ ٧٤
موسيقى توجُّسٍ _____ ٧٦
واهنة بلا انقطاع _____ ٧٧
التباس _____ ٧٨
مقاطع من يوميات راكب تاكسي _____ ٧٩
ضريبةُ خروجٍ _____ ٨٣
جُحور _____ ٨٧

لوحة تكتيكية _____ ٨٨
سيارةٌ تغيِّرُ ألوانَها _____ ٨٩
انفجار شجرة الصبار _____ ٩٠
استنهاض _____ ٩١
لأول مرة _____ ٩٢
بذور مطر _____ ٩٣
شاعرة _____ ٩٤
مكافأة _____ ٩٥
وثالثتهما القُرْبَةُ _____ ٩٦
حراسة!! _____ ٩٧
خطوةُ دفءٍ _____ ١٠٠
نبتة تبتسم لي _____ ١٠١
منفى _____ ١٠٢
اختناق _____ ١٠٣
سفور _____ ١٠٤
جمال الجزيري في سطور _____ ١٠٥
جوائز _____ ١٠٧
إصدارات _____ ١٠٨